بسم الله الرحمن الرحيم

فهرست العدد

مُقدمّة المركز 7

المحور الأوَّل: المقاومة و «بيت العنكبوت»؛ 11
النظريّة وإمكانيّة التحقّق

تمهيد..... 12

أوَّلًا: من جهة محور المقاومة 14

ثانيًا: من جهة المحور الإسرائيلي 21

ثالثًا: تآكل الردع الإسرائيلي 30

المحور الثاني: الصورة بندقيّة: 33
الإعلام الحربي وزمن الانتصارات

تمهيد 35

مقدمة 35

أوّلًا: إشكاليّة الصّورة البنيّة وشكلها 37
في العمليات العسكريّة

ثانيًا: الإعلام الحربي:جزء من الحرب وليس دعائيًا 42

خاتمة العدد 47

لائحة المصادر والمراجع 55

مُقدمّة المركز

موقع النصر في حسابات الجهاد

الحمدلله رب العالمين، وصلّى الله على رسول الإنسانية محمّد صلى الله عليه وآله وعلى آله الطاهرين عليهم السلام، وبعد...

النصرُ من المفاهيم التي كثُر الحديثُ عنها في الفكر الإسلاميّ، وورد ذكرها كثيرًا في الكتاب والسنّة. وثمّة نقاشات عدّة تدور حول هذا المفهوم وما يرتبط به، وعلاقته بالله وكونه هدفًا وغاية، أم أنّه وسيلة لتحقيق شيء آخر، وهل هو نعمة من الله أم هو نتيجة للجهد الإنسانيّ. وبناءً على كونه نعمةً فما هي القوانين التي يخضع لها، ويتحقّق على أساسها أو تسرّع في تحقيقه أو تؤخّر بل تحرم الإنسان منه. وما هو موقع النصر في حسابات التفكير في خوض المعركة؟ وهل يجب أن يكون النصرُ مضمونًا حتّى يتقلّد المسلم أو الأمّة الإسلامية السيف لمواجهة العدوّ أم لا يُشترط ذلك؟

يمكن في سياق الجواب عن هذه الأسئلة، الإجابة بجواب جامع يستند إلى قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[1]. فالآية الكريمة في سياق بيان أنّ النصر ليس شرطًا واجبًا في خوض معركة الدفاع؛ لأنّ الدفاع حربٌ مفروضة يجب على الأمّة خوضها من حيث المبدأ، ويستطيع قائد المسلمين التفكير في الآليّات والسبل التي تساعده على خوض هذه الحرب لضمان النصر فيها، أو التقليل من الخسائر بالحدّ الأدنى. ويكاد يتّفق المفسّرون على أنّ المراد من الحسنيين في الآية هو إحدى النتيجتين اللّتين يمكن أن تنتهي إليهما أيّ معركة يخوضها المسلمون مع عدوّهم. فإمّا أن تنتهي هذه المعركة بالنصر والغلبة، وإما أن تنتهي بالشهادة والفوز بلقاء الله.

1 – سورة التوبة: الآية 52.

تعبّر الآية الكريمة عن منطق مُحكم ومتين يستبطن السّر الأساس لانتصارات المسلمين الأوائل جميعًا، ولو لم يكن للنّبي صلى الله عليه وآله من تعليم ودستور إلّا ما نجده في هذه الآية لكان كافيًا لانتصار أتباعه ومقتفي منهاجه، وهو أنّه لا مفهوم للهزيمة في صفحات أرواحهم فقد أثبتت الحوادث أنّهم منتصرون على كل حال، منتصرون إن استشهدتم!... ومنتصرون إن قتلتم أعداءكم، وإنّ للمؤمنين مسلكين لا ثالث لهما، في أيّ منهما ساروا وسلكوا وصلوا إلى هدفهم وغايتهم؛ أحدهما هو طريق الشهادة التي تمثّل أوج الفخر للمؤمنين، وأعظم موهبة يمكن أن تُتصور للإنسان أن يبيعَ الله نفسه، ويشتري الحياة الأبدية الخالدة وجوار الله، والتنعّم بما لا يمكن وصفه من النعم، والآخر هو الانتصار على العدوّ وتدمير قواه الشيطانية، وتطهير البيئة والمحيط الإنساني من لوث الظالمين والمنحرفين الضالين، وهذا بنفسه فيض ولطف كبير وفخر مسلّم به [2].

فلسفة نسبة النصر إلى الله

بعض الأسئلة التي تواجه المسلمين في حروبهم التي يخوضونها، هو أنّهم ينسبون النصر الذي ينالونه إلى الله تعالى، وقد طُرح هذا النقاش بحدّة بعد حرب عام 2006 التي خاضتها المقاومة الإسلاميّة في وجه الكيان الإسرائيليّ الغاصب. وكثُرت التساؤلات والانتقادات عندما وُصف النصر بأنّه نصرٌ إلهيٌّ. وبكلمة عامّة ينبغي القول بوضوح إنّ العقيدة الإسلامية تقتضي ليس نسبة النصر وحده إلى الله بل نسبة كل ما في الوجود الإمكانيّ إليه تعالى. فالرزق والنصر والعلم وغير ذلك من الأمور هي بيد الله تعالى يؤتيها من يشاء من عباده. قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [3].

كما نلاحظ في عدد من آيات القرآن الكريم نسبة الله سبحانه وتعالى بعض النعم التي يرفل بها الإنسان إليه عزّ وجلّ، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي

2 – آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، تفسير الآية 52 من سورة التوبة.

3 – سورة آل عمران، الآية 126؛ وانظر: سورة الأنفال: الآية 10.

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[4]. وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾[5].

ويقول تعالى في مجال النِّعم: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6]. ومن نتائج هذا الفعل من الأفعال الإلهيّة سمّي الله عزّ وجل بـ «المنعم».

النصر هو نعمة من النعم الإلهيّة التي يمكن أن تُنسب إلى الله تعالى، بناءً على نسبة النعم إليه تعالى، ولكن لأجل خصوصيّة هذه النعمة نستعرض عددًا من الآيات التي تنسب هذه النعمة بخصوصها إلى الله عزّ وجلّ. بل إنّ بعض آيات القرآن الكريم يحصر هذه النعمة به عزّ وجلّ دون غيره من المخلوقات. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[7]. بناءً على أنّ المراد من النصر كما تقدّم هو العون والمدد الذي يمنّ الله به على المؤمنين لتتحقّق لهم النتيجة التي يرجونها منه تعالى.

ختامًا ينبغي أن لا يغيب عن بالنا تأثير الجانب المعنويّ والوجداني في تحقيق النصر سواء أكان ذلك بطريقة غيبيّة لا نعلمها أم كان ذلك بطريقة يمكن تحليلها والاهتداء إلى حقيقتها وكيفية تأثير البعد المعنويّ على الإنسان في حياته الطبيعيّة كالنصر والهزيمة وما شابه من الحالات. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾[8].

4 – سورة لقمان، الآية 20.
5 – سورة الزمر، الآية 8.
6 – سورة الزمر، الآية 49.
7 – سورة الأحزاب، الآية 9.
8 – سورة الأنفال، الآية 65.

ينبغي أن لايغيب عن بالنا تأثير الجانب المعنويّ والوجداني في تحقيق النصر سواء أكان ذلك بطريقة غيبيّة لا نعلمها أم كان ذلك بطريقة يمكن تحليلها والاهتداء إلى حقيقتها.

وقال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[9]. من حيث المبدأ لا حقّ لأحدٍ على الله ولا عنده عزّ وجلّ، فكل ما يفيض من الله يفيض على أساس الجود والكرم والتفضّل، ولكنّ الله يكتب على نفسه بعض الأمور، فتتحوّل إلى حقٍّ بالوعد الإلهيّ بالتفضّل. وكفى بالوعد الإلهيّ وثيقة للتحقّق: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾[10]. و﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[11]. هذه الآية تقلب المشهد ولكنّها لا تعدم الدلالة على الربط بين الأمرين، فإنّها بدل أن تدعو إلى التوكّل طلبًا للنصر، تدعو إلى التوكّل بالاعتماد على مبدأ عامّ وحقيقة كونيّة كبرى هي حقيقة أنّ من ينصره الله فلن يُغلب، ومن يخذله الله فلن يذوق طعم النصر، وتبني على هذه الحقيقة المؤكّدة الدعوة إلى فضيلة التوكّل والاعتماد على الله تعالى.

تبصرة: نتوجّه بالشكر للدكتور السّيد محمد الحسيني على بحثه في المقاومة و«بيت العنكبوت»؛ النظريّة وإمكانيّة التحقّق، والكاتبة كوثر توفيق شقير على بحثها الصّورة بندقيّة.

والحمدلله رب العالمين

مركز المعارف للدراسات الثقافية
Alma'aref center for cultural studies

9 – سورة الروم، الآية 47.
10 – سورة الزمر، الآية 20.
11 – سورة آل عمران، الآية 160.

المحور الأوَّل

المقاومة و «بيت العنكبوت»؛ النظريّة وإمكانيّة التحقّق

تمهيد

سعت «إسرائيل»، مذ باشرت تدعيم ركائز «دولتها» على أرض فلسطين المحتلّة، إلى إرساء معادلة الردع في مواجهة ما كان يسمّى «دول الطوق» التي كانت تشكّل تهديدًا مباشرًا للكيان الهجين، فنجحت في إشاعة الخوف والشعور بالضعف والركون إلى عدم إمكانيّة المواجهة، بعد سلسلة حروب حقّقت فيها الغلبة على العرب. هذا فضلًا عن تكريس تفوّقها النوعي في المنطقة عسكريًّا وأمنيًّا وتكنولوجيًّا بدعم واحتضان أمريكيّ مباشر، ما ترك أثره البالغ على ثقافة وعي الشعوب العربيّة والإسلاميّة وتنامي حال الانكسار، في ظلّ انسياق الأنظمة الحاكمة وراء السياسة الأمريكيّة، وانخراطهم فيما عُرف بمشاريع التّسوية والسّلام.

في المقابل، أحدثت انتصارات المقاومة في لبنان والانتفاضة في فلسطين، ولاحقًا في سوريا والعراق واليمن، ثغرة كبيرة في جدار الوهن. فقد استطاعت هذه المقاومات مع الاستعداد الدائم للقتال والتضحية، كسر معادلة الردع الإسرائيليّة بالاعتماد على «قوة الأيديولوجيا الإلهيّة والثقافة الدّينية، لما لها من دور مهمّ في إحياء التاريخ المجيد للإسلام»[12]؛ كما أرست منظومة مواجهة جديدة لا تعتمد فقط على الحرب العسكريّة الخشنة، بل توظّف نتائجها في تظهير محور مقاوم. فبدأت إرهاصات تشكيله فعليًا بعد إسقاط ما سُمّى مشروع «الشرق الأوسط الجديد» الأمريكيّ في عدوان تموز على لبنان عام 2006، وشكّل انتصار المقاومة عام 2000 منعطفًا استراتيجيًّا جوهريًّا، ونقطة البداية في تسارع خط الانحراف التنازلي للهيمنة الأمريكيّة والسّطوة الإسرائيليّة على المنطقة. وهذا شكّل صدمة كبيرة في العقلين العسكري الإسرائيلي والأمريكي، لتتحوّل معادلة الردع في منظور المقاومة إلى معادلة «بيت العنكبوت» وهو المصطلح الذي أطلقه الأمين العام لحزب الله سماحة السيد «حسن نصر الله»، بعد التحرير في أيار عام 2000.

12 – ديفيد جارنم، مستلزمات الردع، مركز الإمارات للدراسات الإستراتيجية، 1995.

أحدثت انتصارات المقاومة في لبنان والانتفاضة في فلسطين، ولاحقًا في سوريا والعراق واليمن، ثغرة كبيرة جدًا في جدار الوهن.

كما بات من الواضح أنّ العدوّ الإسرائيلي، لم يجرؤ منذ خمسة عشر عامًا - تاريخ هزيمته في العام 2006 - على شنّ حرب جديدة على لبنان، بل ما يزال يعكف على إعادة النظر في استراتيجياته العسكريّة والأمنيّة وتكتيكاته الميدانيّة وتدريباته العسكريّة، ويستخلص العبر من الوقائع والمتغيّرات الدراماتيكيّة، وهي تطرح أمامه جملة من التحدّيات تتمثّل في محور كلّ من: لبنان وفلسطين وسوريا والعراق واليمن وإيران.

نتناول في هذا البحث المباني القرآنيّة والاجتماعيّة لمفهوم «بيت العنكبوت» الذي أطلقه سماحة «السّيد حسن نصر الله»، مع إجراء مقاربات سوسيولوجيّة وقياس مدى تطابقها مع المجتمع الإسرائيلي. كما سندرس هذا المفهوم من جهة محوريّ المقاومة والإسرائيلي، بما يقود بالنتيجة إلى إمكانيّة تحقّق شعار «إسرائيل أوهن من بين العنكبوت»، اعتمادًا على الوقائع والتحليل. ولن يكون بمقدورنا الإحاطة بالموضوع من جميع نواحيه؛ لأنّ ذلك يتطلّب الكثير من البحث والاستعراض من جوانب مختلفة ومتشعّبة.

أوَّلًا: من جهة محور المقاومة

1. بيت العنكبوت في خطاب المقاومة

لا يمكن فصل أثر الرمز والقائد عن أثر الخطاب وجوهره، ولا سيّما في سياق الثورة والمقاومة والإعلام والدعاية، فكلّها عناصر تتكامل في لغة سيميائيّة؛ ولا يمكن ترجمة تفاصيل هذه اللغة وفهم قوة الردع في الخطاب من دون هذا التكامل الكلّي، والذي تحضره الأيديولوجية الدّينية بكل قوة. وفي هذا السياق يمكن ملاحظة أنّ غالبيّة الخطابات التي ألقاها الإمام الخميني قدس سره قبل انتصار الثورة الإسلاميّة وبعدها، وكذلك الإمام السّيد علي الخامنئي دام ظلّه والأمين العام السّيد حسن نصر الله حفظه المولى، بخاصّة بعد انتصار تموز عام 2006، تركّز على الوعد بالنصر والثقة بهزيمة العدو. لقد شكّلت هذه الخطابات بمعظمها قوّة ردع هائلة، لما تضمّنته من ثقة واطمئنان ورسوخ في الموقف من جهة، واقترانها بالنتائج التي صدقت الوعد بالنصر من جهة ثانية، وبالنتيجة أدّى تراكم المواقف، للسيد نصر الله بصفته الرمز والقائد، والنتائج لتحويل الخطاب إلى عنصر جوهريّ في قلب المعادلات التقليديّة.

> لقد شكّلت الخطابات بمعظمها قوّة ردع هائلة، لما تضمّنته من ثقة واطمئنان ورسوخ في الموقف، واقترانها بالنتائج التي صدقت الوعد بالنصر.

جاء مصطلح «بيت العنكبوت» لأوّل مرة، موقفًا علنيًّا في إطار التصريحات الإعلاميّة، وليس في الدّراسات البحثيّة أو الأكاديميّة، على لسان السّيد «نصر الله» في خطاب ألقاه لمناسبة «عيد المقاومة والتحرير» في مدينة بنت جبيل الجنوبية، خاطب فيه شعب فلسطين بالقول: «إنّ إسرائيل هذه التي تملك أسلحة نوويّة وأقوى سلاح جو في المنطقة، واللهِ هي أوهن

من بيت العنكبوت»[13]. وأعاد السّيد «نصر الله» ذكر هذا المصطلح مرّات عديدة، وأبرزها: «إنّ معركة بنت جبيل أسقطت القبضة الفولاذيّة وثبّتت مقولة بيت العنكبوت بدماء الشهداء الأبطال.. دمار وقصف جوي ومدفعي وصاروخي، الكتائب والألوية والنخب والأعداد الهائلة والدّبابات والآليات، وفي المقابل ثلة من المجاهدين المقاومين الأبطال هم الذين صنعوا هذه الملحمة، وعجز جيش بيت العنكبوت أن يصل إلى الملعب، حتى يقف ضابط منهم ليقول: لسنا بيت عنكبوت»[14].

> جاء مصطلح «بيت العنكبوت» لأوّل مرة موقفًا علنيًا في إطار التصريحات الإعلاميّة، وليس في الدّراسات البحثيّة أو الأكاديميّة، على لسان السّيد «نصر الله» في خطاب ألقاه لمناسبة «عيد المقاومة والتحرير» في مدينة بنت جبيل الجنوبية.

في هذا السياق، نفهم دلالة أهميّة اختيار مدينة بنت جبيل لإلقاء خطاب الانتصار، وهي التي سُمّيت «عاصمة التحرير»، «يوم هزّ «نصر الله» منظومة الردع الإسرائيليّة كلّها بخطابه أنذاك، وفتح صفحة جديدة في الوعي، للدلالة على أنّ حجم التحدّي يكبر، ومعه تكبر الإمكانيّات، فيكبر معه احتضان جمهور المقاومة لهذه المسيرة المتوارثة من جد شهيد إلى أب شهيد إلى ابن شهيد، في المواجهة المفتوحة ضد الإرهاب الإسرائيلي». وبعيدًا عن كلام الميدان والوقائع العسكريّة، يمكن البناء على الانتصارين اللذين تحقّقا في 25 أيار 2000 وفي 14 آب 2006، لنركن إلى مجموعة من الخلاصات المستقاة من خطابات السّيد نصر الله، والتي تدخل كلّها في تثبيت مقولة «بيت العنكبوت»، وأهمها:

13 – من كلمة ألقاها سماحة الأمين العام في الذكرى السنوية لعيد المقاومة والتحرير، بنت جبيل، 2000/5/26

14 – من كلمة ألقاها سماحته في مهرجان أقيم بمناسبة الذكرى العاشرة لانتصار تموز 2006، بنت جبيل، 2016/8/13

أوّلًا: ضرورة إثبات «أنّنا لائقون بالنصر»، والحفاظ على إنجازات المقاومة وتقويتها وتحصينها، بحيث لا يقف عند حدود استثمارها في الخارطة الجيوسياسّية اللبنانيّة بل للمنطقة كلّها؛ بل إلى تشكيل محور مواجهة مباشرة لمشاريع الهيمنة الأمريكيّة–الإسرائيليّة في المنطقة ككلّ؛ وهذا ما حدث لاحقًا؛ إنَّ أي عمليّة عسكريّة إسرائيليّة في ظلّ تطوّر جبهة المقاومة واتّساعها وتعاظم قوتها، سيعود على «إسرائيل» بالهزيمة مجدّدًا مع ما يتركه ذلك من نتائج سلبيّة على مستوطنيها جميعًا.

ثانيًا: أهميّة تعامل اللبنانيين، على أساس أنّ هذا الانتصار هو انتصار للبنانيين جميعًا؛ والمقاومة قوّة للبلد وستبقى كذلك، وهي من نسيجه الوطني وتعبّر عن تطلّعاته وأهدافه، وتعكس ثقته بها على صعيد حماية الأرض والمؤسّسات والمجتمع. في المقابل، فإنّ التحام الشعب بالمقاومة سيوفّر لها عنصر قوة في مواجهة أي عدوان إسرائيليّ أو غيره، عسكريّ أو أمنيّ أو اقتصاديّ أو اجتماعيّ، وفي مواجهة أي تهديد يهدف إلى نزع عناصر القوة من لبنان. وهكذا تشتدّ أواصر الصلة بين المقاومة كعنصر حماية ودفاع وبين المجتمع اللبناني كبيئة آمنة توفّر لها الخلفية وتحتضنها. وفي المحصّلة، لن يستطيع الإسرائيلي اختراق صلابة جدار الممانعة، بل سيجد نفسه أمام المزيد من الهزائم التي ستؤدي إلى تعميق أزمته وزعزعة استقراره، ليصبح كيانه هشًّا كما بيت العنكبوت.

> **إنّ التحام الشعب بالمقاومة سيوفّر لها عنصر قوة في مواجهة أي عدوان إسرائيليّ أو غيره، وفي مواجهة أي تهديد يهدف إلى نزع عناصر القوة من لبنان.**

ثالثًا: نفى انتصار المقاومة عام 2000 مقولة «العين لا تقاوم المخرز»، وأعطى الشعوب العربيّة والإسلاميّة الثقة في إمكانيّة الانتصار ودحر الاحتلال من

دون مفاوضات أو ترتيبات عسكريّة وأمنيّة، وأسقطت معادلة تكافؤ القوى العسكريّة. وباتت هذه الشعوب تنظر إلى «السّيد نصر الله» أنّه الزعيم العربيّ القوميّ والإسلاميّ الأوّل الذي يمتلك مقوّمات القيادة باتجاه تحرير فلسطين واسترجاع حقوق شعبها وقطع يد الهيمنة الغربيّة على بلدان المنطقة. وفي هذا، حرص «السّيد نصر الله» على إهداء النصر المحقّق إلى الشعب الفلسطينيّ والشعوب الأمّة العربيّة والإسلاميّة. وفي ذلك رسالتان:

الأولى: المقاومة في لبنان وفلسطين طرفان ملتحمان، وأي نصر للمقاومة في لبنان هو نصرٌ للفلسطينيين، ومدماك إضافي يساهم في تلاحم قوى محور المواجهة وحركته الفاعلة نحو إزالة «إسرائيل» ككيان غاصب.

الثانية: المقاومة في لبنان، رغم محدوديّة عديدها وعتادها وعدم التكافؤ في ميزان القوى بينها وبين العدو، ومن خلفه الولايات المتّحدة الأمريكيّة والدّول العربيّة الداعمة لها، استطاعت تحقيق إنجاز الانتصار وتحرير الأرض المحتلّة من دون أي تسويات، فكيف لو اجتمعت شعوب الدّول العربيّة والإسلاميّة على انتهاج خيار المقاومة بشكل جديّ؟! بلا شك ستكون قادرة على استعادة الأرض والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

> **المقاومة في لبنان، استطاعت تحقيق إنجاز الانتصار وتحرير الأرض المحتلّة من دون أي تسويات.**

رابعاً: أكّد «السّيد نصر الله»، في خطاباته، مجموعة محدّدات تتّسم بها شخصيَّته وتُميِّز أداءه، وهي المصداقية والواقعيّة، فجعل حتى الإسرائيليين يثقون به ولا يصدّقون قادتهم. وهناك الكثير من الشواهد على هذه الحقيقة، منها ما أظهرته نتائج دراسة أعدّها الدكتور «أودي ليفل» في جامعة بن غوريون تحت عنوان: «إدارة الدعاية الإعلامية الإسرائيليّة في حرب لبنان الثانية 2006»، ومفادها «أنّ القصور والخلل والإخفاق لم

يقتصر على الإدارة السياسيّة والعسكريّة للمعارك، بل امتدّ ليشمل ساحة الحرب الإعلاميّة والنفسّية بأبعادها الثلاثة: الداخلي الإسرائيلي، واللبناني والعالمي». وتبيّن له أنّ: «أحدًا من الناطقين باللغة العبريّة، لم يحصل على علامات مرتفعة في المصداقيَّة كالتي حصل عليها نصر الله»؛ وأكّد أنّ: «المعطيات تعكس أزمة زعامة قاسية، إذ ليس مُهمًّا إن كانت هذه الزعامة بذلت أقصى جهدها من الناحية الموضوعيّة؛ فالجمهور الآن يراها معزولة ومتغطرسة وذات أداء غير رسمي؛ الجمهور لن يمضي خلف قيادة كهذه في المواجهة المقبلة»[15].

«أحدًا من الناطقين باللغة العبريّة، لم يحصل على علامات مرتفعة في المصداقيَّة كالتي حصل عليها نصر الله»؛ وأكّد أنّ:«المعطيات تعكس أزمة زعامة قاسية، إذ ليس مُهمًّا إن كانت هذه الزعامة بذلت أقصى جهدها من الناحية الموضوعيّة؛ فالجمهور الآن يراها معزولة ومتغطرسة وذات أداء غير رسمي؛الجمهور لن يمضي خلف قيادة كهذه في المواجهة المقبلة».

2. انتصار تموز 2006 في معادلة «بيت العنكبوت»

كان المشروع الأمريكي – الإسرائيلي في استيلاد شرق أوسط جديد، يتدرّج تنفيذه بسحق المقاومة في لبنان أولًا، ثم السيطرة على سوريا وضرب المقاومة في فلسطين وعزل إيران كمقدّمة لإسقاطها. وهذا يقود إلى هيمنة أمريكيّة - إسرائيليّة مطلقة على المنطقة، بحال انتصرت في «حرب لبنان الثانية». ولكنّ المقاومة الإسلاميّة أسقطت هذا المشروع، فترك الانتصار بنتائجه تداعيات كبيرة على الكيان الإسرائيلي في المجالات العسكريّة والأمنيّة والسياسيّة والثقافيّة والاقتصاديّة، يمكن استعراضها كالآتي:

15 – محمد بدير، الإسرائيليون يصدقّون نصر الله.. ولا يثقون بقادتهم، صحيفة الأخبار، 2006/9/4.

أوّلًا: اهتزاز المؤسّسة العسكريّة من الداخل وبقوّة، بحيث سادت حال من التشتّت والضعف المعنويّ، وسط تبادل اتّهامات وشتائم وتخوين بين القيادات العليا في رئاسة الأركان وبين الوحدات والجغرافيّين والضباط والجنود صعودًا ونزولًا. وهذه ليس لها سابقة في تاريخ الجيش الإسرائيلي، وتمظهرت في موجة استقالات وإقالات وتغيّرات على مستوى تقسيم الجبهات في الجيش، وإعادة نظر في الخطط الميدانيّة والسياسات العسكريّة المتّبعة. أدّت هذه الاهتزازات إلى نشوب أزمة ثقة كبرى داخل المؤسّسة العسكريّة، وظهرت مفاعيلها لاحقًا في الحروب الإسرائيليّة على قطاع غزة (2008 و2014 و2021).

ثانيًا: اهتزاز ثقة المستوطنين بالجيش وانعدام الاطمئنان لقدرته على تحقيق الانتصار، في أي حرب قادمة يخوضها، ويُعدّ هذا الأمر أكثر المكامن خطرًا وتهديدًا على الكيان المؤقت.

ثالثًا: سقوط العقيدة العسكريّة الإسرائيليّة التي كانت تعتمد الحسم العسكري الميداني السريع والقتال في أرض العدو وعلى الحدود، والجبهة الداخليّة هادئة مستقرة. فقد تشكّلت لجنة اسمها «لجنة الأمن لتطوير العقيدة الأمنيّة والعقيدة العسكريّة «أوصت باتّباع عقيدة جديدة تضمّنت تعديلًا للأهداف الاستراتيجية مفادها التخلّي عن نظريّة التوسّع الجغرافي الميداني تحت شعار «إسرائيل الكبرى»، والحفاظ على التقوقع الداخلي لحماية ما تمّ إنجازه، مع اتّجاه إلى القضم الاقتصاديّ والهيمنة الأمنيّة من خلال الإفادة من الانتشار البشريّ من خلال التطبيع[16].

سقوط العقيدة العسكريّةالإسرائيليّة التي كانت تعتمد الحسم العسكري الميداني السريع والقتال في أرض العدو وعلى الحدود، والجبهة الداخليّة هادئة مستقرة.

16 – محمد المصري، نظريّة الأمن الإسرائيلي، كتاب الرؤيا، ج2، 2009

رابعًا: إدراك القيادة الإسرائيليّة بمحدوديّة القوّة ما دفعها للاعتماد الدائم على الدعم الأمريكي الشامل وغير محدود السقف، في حين حذّر رئيس اللجنة الماليّة في الكنيست «موشيه غافني» من أنّ «المساعدات الأميركية قد تتسبّب بأضرار غير مقبولة، وبينما ستزداد المساعدات فإن المجتمع الإسرائيلي سينهار من الداخل»، كما حذّر الجنرال «إيال بن رؤوفين» قائد الكلّيات العسكريّة السابق من أن «هذه المساعدات قد تتسبّب بخسارة إسرائيل استقلالها في أوقات الطوارئ»[17].

خامسًا: عودة سؤال الوجود والبقاء لما يسمّى «دولة إسرائيل»، وهل هناك إمكانيّة أن تبقى أم ذاهبة نحو السقوط والزوال؟ وتعزّز هذا السؤال نتيجة للحروب الخاسرة في لبنان وفلسطين. كما أنّ الاعتماد على تواجد القوات الأمريكيّة في المنطقة لم يعد يشّكل صمّام أمان بعد انسحابها من أفغانستان والعراق وانعدام فعاليّتها في سوريا، وضعف ما يُسمّى بالبيئة الاستراتيجية التي كانت «إسرائيل» تعتمد عليها في الحصول على المدّ العسكري واللوجستي في أي حرب تخوضها.

ثانيًا: من جهة المحور الإسرائيلي

17 – المرجع نفسه.

1. المبنى القرآني

ورد في القرآن الكريم سورة كاملة باسم «العنكبوت»، وتتحدّث في آية منها عن العنكبوت وبيتها[18]؛ ويعبّر سياق الآية عن مثلٍ ضربه الله تعالى مشبّهًا به حال المشركين، واتّخاذهم شركاء من دون الله، كمثل اتخاذ العنكبوت بيتًا فريدًا في شكله وطريقة بنائه والمادة المستخدمة فيه، ولكنّه بيت واهن في تركيبتيه العضويّة والاجتماعيّة. والوهن، في لغة العرب يعني الضعف، وتُطلق على كلّ شيء فيه ضعف في بنائه أو في قوته أو في منظره أو في متانته. و«الوَهْنُ: الضَّعْفُ في العمل وفي الأشياء، وكذلك في العَظْم ونحوه وقد وَهَنَ العَظْم يَهِنُ وَهْنًا وأَوْهَنَه يُوهِنُه ورجلٌ واهنٌ في الأمر والعمل، ومَوْهونٌ في العَظْم والبَدَن»[19].

كما تتضّمن الآيات القرآنيّة، في السورة، قصص الأمم الماضية الهالكة بمثلٍ ضربه الله سبحانه لاتخاذهم أولياء من دون الله، فبيّن فيه أنّ «بناؤهم ذلك أوهن البناء، ينادي ببطلانه وفساده خلق السماوات والأرض، وأنهم ليس لهم من دونه من وليّ»؛ والمعنى أنّ «اتّخاذهم من دون الله أولياء، وهم آلهتهم الذين يتولّونهم، ويركنون إليهم كاتخاذ العنكبوت بيتًا، هو أوهن البيوت، إذ ليس له من آثار البيت إلّا اسمه لا يدفع حرًا ولا بردًا، ولا يُكِن شخصًا ولا يقي من مكروه، كذلك ليس لولاية أوليائهم إلا الاسم فقط لا ينفعون ولا يضرّون ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.. وفيه تنبيه على أنّ تمثيل اتخاذهم أولياء من دون الله، باتخاذ العنكبوت بيتًا هو أوهن البيوت، ليس مجرّد تمثيل شعري ودعوى خالية من البيّنة، بل على حجّة برهانيّة وحقيقة حقّة ثابتة»[20].

كما تُبيّن الآية «ما آل إليه المشركون والمفسدون الظلّمة والأنانيون من مصير وخيم

18 – ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت، 41).

19 – الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ط1، ج4، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1988، ص 92.

20 – محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ط1، بغداد: دار الكتاب العربي، 2009، ص 131 – 132.

وعاقبة سوداء وعذاب أليم»[21]. وهم مثل الذين «اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نَصْرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم وقبح رواياتهم وسوء اختيارهم لأنفسهم، ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها، فلم يغنِ عنها شيئًا عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغنِ عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحلّ بهم سخطه، أولياؤُهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئًا، ولم يدفعوا عنهم ما أحلّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إيّاهم»[22]. يذكر «ابن كثير»، فيقول: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسّك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئًا، فلو علموا هذا الحال لما اتّخذوا من دون الله أولياء. وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتّباع الشرع، فإنّه متمسّك بالعروة الوثقى لا انفصام لها؛ لقوتها وثباتها»[23].

2. المبنى الاجتماعي

«الرتيلاء»، هو حيوان صغير لا ينتمي إلى صنف الحشرات، يُدعى ذكره عنكب، أما الأنثى فهي العنكبوت، ولها ثمانية أرجل وأربعة أزواج من العيون، ويوجد في العالم أكثر من ثلاثين ألف نوع من العناكب تتفاوت في الأحجام والأشكال ونمط المعيشة ويغلب عليها المعيشة الفرديّة والعدائيّة بعضها لبعض، ولا يوجد إلا أنواع قليلة جدًّا تعيش في جماعات[24]. وتُعدُّ العناكب من الحيوانات القادرة على التكيُّف للعيش في الكثير من البيئات؛

21 – ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج12، قم: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، 1379 هـ، ص 393.

22 – محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ط 1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994م، ص 401.

23 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م، ص 401.

24 – Platnick, N.I.. 2012 ،الكتالوج العالمي للعناكب، ط 13. http.//research.amnh.org/iz/spiders/catalog

لذلك يمكن العثور عليها في جميع أنحاء العالم باستثناء القارة القطبيّة الجنوبيّة، ويعود تاريخ وجودها على الأرض إلى قبل 318 مليون عام[25].

العنكبوت هي التي تبني البيت، وهو مكوّن من مجموعة خيوط حريريّة غاية في الدقة، تتشابك بعضها مع بعض مع مسافات بينيّة كبيرة، وهذا ما يتيح لها الفرصة للقبض على فرائسها. والوهن والضعف هو في بيت العنكبوت، وليس في خيوط العنكبوت، فهذا البيت لا يقي العنكبوت البرد والمطر، ولا يحدث ظلًا كافيًا للاتقاء من الشمس والحرارة، فهشاشة الخيوط، على الرغم من صلابة تكوينها، لا تحمي البيت من خطر الخراب. أما الخيوط فهي حريريّة دقيقة جدًا، وهي «أقوى مادة بيولوجيّة عرفها الإنسان حتى الآن، وتُعدّ أقوى من الفولاذ، ويمكن للخيط أن يتمدّد إلى خمسة أضعاف طوله قبل أن ينقطع، ولذلك أطلق العلماء عليه اسم «الفولاذ الحيوي» أو «الفولاذ البيولوجي»، وهو أقوى من الفولاذ المعدني العادي بعشرين مرة»[26].

> **الوهن والضعف هو في بيت العنكبوت، وليس في خيوط العنكبوت، فهشاشة الخيوط، على الرغم من صلابة تكوينها، لا تحمي البيت من خطر الخراب.**

إناث هذه الحشرة أكبر حجمًا من ذكورها، ولا يلتقي الزوجان إلا وقت التزاوج فقط، وعند انتهاء عمليّة التلقيح يغادر الذكر عشّ الأنثى مسرعًا خوفًا من أن تقوم بقتله وافتراسه. وهناك بعض أنواع العنكبوت تترك الذكر ليعيش في العشّ بعد عملية التلقيح، ليقوم صغارها بقتله والتهامه. وفي بعض الحالات، تقوم العنكبوت بالتهام صغارها حينما تجوع، وفي أنواع أخرى تقوم الأنثى بتغذية صغارها، وحينما يفقس البيض تبدأ اليرقات بالاقتتال وتتغذّى على أضعفها، حتى تنتهي المعركة ببقاء عدد قليل منها، وبعد

25 – Jessie Szalay ,"Types of Spiders & Spider Facts"5/11/2014، www.live-science.com, Retrieved 23/10/2021.

26 – وسمية الحوطي، الحشرات في القرآن والأحاديث النبوية والتراث الشعبي الكويتي، 1998.

أن يقوى ما تبقّى من الصغار، يقوم بأكل الأم، لأنّها أصبحت أضعف الموجودين[27].

من هنا، فإن البحث في وهن بيت العنكبوت يتعلّق بالجوانب الاجتماعيّة والتربويّة والأخلاقيّة أكثر منه من الجانب البنائي والإنشائي، فالبناء الاجتماعي والعلاقات الأُسريّة في هذا البيت مرتكز على مصالح مؤقتة بين أفرادها، فإذا انقضت هذه المصالح تحوّل الأفراد إلى أعداء، ويقوم بعضهم بقتل بعض. وهذا هو مصداق ما حدثتنا به الآية القرآنيّة الشريفة في وصف الكفّار والمشركين واتخاذهم أولياء من دون الله، وفي ذلك واحد من الأمثال التي يضربها الله تعالى من حيث تشبيه الناس الذين يتّبعون أهواءهم ومصالحهم، فيتحدث سبحانه عنهم من زاوية انحدارهم إلى الغرائز التي جعلها في البهائم. من هنا، فإنّ فهم الآية ومعناه هو في الدرجة الأولى متعلّق بالسّلوك الداخلي للعنكبوت ووهن بيتها أخلاقيًا واجتماعيًا.

> البحث في وهن بيت العنكبوت يتعلّق بالجوانب الاجتماعيّة والتربويّة والأخلاقيّة أكثر منه من الجانب البنائي والإنشائي، فالبناء الاجتماعي والعلاقات الأُسريّة في هذا البيت مرتكز على مصالح مؤقتة بين أفرادها.

أمّا كلمة «بيت»، في اللّغة العربيّة، لا تعني حصرًا البناء المخصّص للسكن، بل هو المكان الذي تجتمع فيه العائلة والأسرة؛ لذلك ميّز الله تعالى توصيف مكان العنكبوت بـ «البيت»، كما ميّز مكان النمل بـ«المسكن»، ومكان الأفاعي بـ«الجحر». ووجه الشّبه، في المثال المضروب في القرآن الكريم، واضح جدًا؛ فالذين يتخذون من دون الله أولياء إنما يتّخذونهم لمحاولة تحقيق مصالح دنيويّة، حتى إذا تحقّقت هذه المصالح انقلبوا أعداء، إما في الدنيا أو في الآخرة، كما يقول تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

27 – خاروف، حسن حلمي، الموسوعة العربيّة http://arab-ency.com.sy/detail/785

عَـدُوٌّ إلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾[28]. ثم إنّ الغرض من تشبيه الآلهة المزيّفة بهوام وحشرات الأرض- البعوض، الذباب، العنكبوت- هو الحطّ من شأنها والاستهزاء بها؛ فبيت أنثى لجذب الطرائد بهدف القتل وافتراس المخلوقات، لا فرق في أن تكون الضحية من داخل البيت أيضًا، والمرتكب الأساسي في هذه المسيرة الإجراميّة هي الأنثى/الأم، مع ما تعني الأمومة من مدرسة تربويّة شاملة سلبًا أم إيجابًا. فهي في علاقتها مع الزوج/الأب قاسية مفترسة بلا رحمة، وكذلك في علاقتها مع أبنائها حين تجوع، فينشأ أطفالها على المنوال نفسه، حتى تصبح بدورها هي الضحية. هو بيت لا رأس فيه ولا مدبّر ولا قانون أخلاقيًا ولا عاطفيًا، وهو أقسى أنواع التركيبات الغريزيّة بين كلّ صنوف البهائم، كنموذج لمجتمع إجرامي لا يفرّق بين صديق وعدو، ولا بين قريب وغريب.

أما العلاقة بين العنكبوت وبيتها بمعنى المسكن، بما يتألّف من حائط وسقف وباب ونوافذ، نجد أنّها علاقة بين كائن حيّ وجماد، مع أنّ هذا البيت من الناحيّة الإنشائيّة يفتقد لأدنى مقوّمات الحمية الطبيعيّة ولأدنى مقاومة أمام العوامل الجويّة والمخاطر الخارجيّة، كما لا تتحقّق فيه الولاية لعدم قدرة الجماد على التدبّر والقدرة والفعل، ولا انتماء لأهل البيت إلى هذا المسكن، سوى الانتماء الفردي بنزعته الشخصانيّة الأنانيّة، ولا يعدو هذا البيت كونه فخًّا منصوبًا ووكرًا للموت وأمانًا كاذبًا لأفراد الأسرة؛ لذلك تحدّث الله عن بيت العنكبوت، ولم يتحدث عن خيوطها التي تشكّل إعجازًا في الخلق والتكوين.

2. مقاربات سوسيولوجيّة

يعتمد المجتمع الإسرائيلي، في تركيبته بشكل أساسي، على المهاجرين اليهود المستقدمين من دول العالم؛ والذين اكتسبوا الجنسيّة الإسرائيليّة

28 – سورة الزخرف، الآية 67.

عن طريق أربعة موارد هي: الاستقدام، والإقامة والولادة والتجنّس.. ويشوب هذا المجتمع مجموعة من الصّراعات والانقسامات الداخليّة، بعضها اجتماعي وبعضها يتّصل بالهويّة والانتماء، والأخطر يتعلّق بالتمييز الطبقي والعنصري بين اليهود أنفسهم. وتعزّزت هذه الصّراعات مع ظهور بوادر تحوّل النظام السياسي إلى نظام يميني ذات نزعة عنصريّة، عزّزته القرارات والقوانين الحكوميّة والفتاوى الدّينية.

بعد إنشاء الدّولة الصهيونيّة، والمدّعية أنّها دولة الشعب اليهودي بأسره، ولتقنعهم بذلك أجرت تعديلًا قانونيًا حول تعريف اليهودي (1970) جاء فيه: «اليهودي هو من وُلد لأمٍّ يهوديّة أو تهوَّد ولا ينتمي لدين آخر». فسمح هذا القانون باستقدام مئات الآلاف من غير اليهود، ليزداد عددهم إلى نحو 25% من إجمالي السكّان في فلسطين المحتلّة، طبقًا لمكتب المركزي الإسرائيلي للإحصائيات العام 2013، وفي سعيٍ للخروج من أزمة الهويّة، أقرّ الكنيست (18 تموز 2018) قانونًا نصّه: «الدّولة القوميّة هي الدّولة اليهودية»؛ «لليهود حقًا فريدًا بتقرير مصيرهم»، وجعل من العبريّة اللّغة الأساسيّة، مهمّشًا استخدام العربيّة التي كانت تعدّ لغةً ثانية، بعدما أشاد رئيس الحكومة آنذاك «بنيامين نتنياهو» بالخطوة برأيه «لحظة حاسمة»[29].رغم كلّ ذلك؛ لاتزال غالبية هذا «الشعب» مستقرّة في أوطانها الحقيقيّة، فبعد أن هاجر بعضهم إلى «وطنهم القومي»، اكتشفوا أنّهم ليسوا يهودًا خلّص، إنّما أشكناز وسفارديم وفلاشاه.. وإنّهم لمّا يتوصّلوا بعد لتعريف من هو اليهودي، وهذه الدّولة لم تحرّرهم من الأسر، بل أوقعتهم في فخ جغرافي وورطة تاريخيّة»[30].

هذا، ويبرز الصّراع الأيديولوجي الطبقي بين يهود الغرب الأشكناز، وهم الطبقة العليا في «إسرائيل»، ويتمتّعون بالغنى والهيمنة على المؤسسات

29 –https://www.bbc.com/arabic/middleeast-44881325 –9/7/2018

30 – عبد الوهاب المسيري، مجلة الموقف الأدبي، 2010/7/18

السياسيّة والاجتماعيّة، والأكثر حصولًا على الأجور المرتفعة، وبين يهود الشرق السّفارديم الذين يسود الفقر صفوفهم، ويعانون التهميش. كما يأتي الصّراع العلماني- الدّيني تهديدًا داخليًا جدّيًا؛ ففي نهاية العام 2010، صدر كتاب عن جامعة حيفا، يتضمّن بحثًا لـ«أرنون سوفير» تحدّث فيه عن وضعيّة «إسرائيل» الديمغرافيّة، وارتفاع نسبة الأصوليين والمتدينين معًا حتى العام 2030، ليتجاوز نسبة 50% من مجمل السّكان في فلسطين المحتلّة، وما بين 62% إلى 65% من اليهود. في السياق، أيضًا أظهر استطلاع للرأي أجراه معهد «داحاف» الإسرائيلي، في 13 آذار العام 2011، ارتفاع نسبة العنصريّة والتطرّف في أوساط الشباب، ولاسيما حيال الفلسطينيين. وأيضًا، بحسب استطلاع نشره «معهد الديمقراطيّة الإسرائيليّة»، في العام 2019، أنّ هذه هي المرة الأولى التي يتغلّب فيها خوف اليهود[31] من الحرب الداخليّة على أي تهديد آخر، إذ رأى 36% أنّ التوتّرات بين المحافظين والليبراليين هي أكبر المشاكل، بينما رأى 28% فقط أنّ التوترات بين الإسرائيليين والعرب هي المشكلة الأكبر[32].

> يبرز الصّراع الأيديولوجي الطبقي بين يهود الغرب الأشكناز، وبين يهود الشرق السّفارديم الذين يسود الفقر صفوفهم، ويعانون التهميش.

هذه النتائج تنسجم مع أزمة وجوديّة أخرى تتمثّل بظاهرة الهجرة العكسيّة، حيث أصبح الكثير من اليهود يهجرون فلسطين المحتلّة، بخاصّة إلى أوروبا، هربًا ممّا أسموه المجتمع الهشّ والعنصري. واعترف جهاز الإحصاء المركزي الإسرائيلي، في العام 2009، لأوّل مرّة، أنّ عدد اليهود المستقدمين أقل من عدد المغادرين، وأقرّ أنّ نصف مليون مستوطن هاجر

31 – يُقصد باليهود، في هذا البحث، اليهود المتصهينون الذين يستوطنون فلسطين المحتلة، وليس مجمل اليهود عامّة.

32 – فايز رشيد، الصّراع اليهودي اليهودي في الكيان واقتتالهم قائم، القدس العربي، 2020/2/12 https://www.alquds.co.uk/

بين عامي 1990 و2014، وفي تقرير آخر لصحيفة هآرتس اعترف 37% أنّهم يفكرون بالمغادرة [33].

> أصبح الكثير من اليهود يهجرون فلسطين المحتلّة، هربًا ممّا أسموه المجتمع الهشّ والعنصري.

أمّا الأزمات الاجتماعيّة والأخلاقيّة، فهي في تراكم. فعلى المستوى الأسري، يسجّل ارتفاع مستمر في حالات الطلاق بين الأزواج، فقد أعلنت إدارة المحاكم الحاخاميّة أنّ «معدل تسجيل حالات الطلاق ارتفع خلال العام 2019 بنسبة 3%، مشيرة إلى أنّ إحدى المحاكم تمكّنت من تنفيذ الطلاق لـ180 امرأة اختفى أزواجهن في «إسرائيل» وخارجها، مقارنة بـ149 في العام 2018 [34]. كما، تشير إحصائيات حديثة نسبيًا، نشرتها صحيفة «يسرائيل هيوم»، إلى «ارتفاع كبير في نسبة العنوسة، وأنّ نسبة الشباب البالغ عمره بين 25 و29 عامًا غير المتزوجين ارتفع من 28% إلى 69% خلال عقود، أما غير المتزوجات فقد ارتفعت نسبتهن من 13% إلى 46% في العام 2015»[35].

تقود هذه الأزمة إلى البحث عن مؤثر مباشر في حدوثها وتعميقها، وهي ظاهرة الشذوذ الجنسي الذي أصبح مقبولًا في المجتمع الصهيوني، فوضع الشواذ جنسيًا راهنًا أفضل من النواحي القانونيّة والتشريعيّة بل هو من الأفضل في العالم، فلم يعد هناك قانون يمنع أحدًا أن يكون شاذًا، أو يمنع اللواط؛ مع أنّ الحاخاميّة تحرّمه، مع ذلك معظم المذاهب الدّينيّة اليهوديّة المعاصرة الإصلاحيّة والمحافظة تقبلته، بل أنشأت مدارس دينيّة خاصة لتخريج الحاخامات الشواذ جنسيًا، كما أبرم حاخام إصلاحي عقد زواج

33 – مجد أبو ريا، العنصريّة الطبقية داخل المجتمع الإسرائيلي.. هل ستُنهي إسرائيل، 2019/3/13، https://www.noonpost.com/content/26932/

34 – ارتفاع معدلات الطلاق في إسرائيل، صحيفة الدستور، 2021/10/27، https://www.dostor.org/3143895

35 – إحصائيات تشير إلى ارتفاع سن الزواج وزيادة نسبة العنوسة في إسرائيل، https://www.i24news.tv/ar/أخبار/ثقافة/152341-170807.

بين رجلين أمام حائط المبكى في العام 1998، ووصِف هذا انتصارًا لحرية الرأي[36]. ويضمّ الكنيست الحالي عددًا غير مسبوق من النواب الشاذين جنسيًا، فهناك ستة منهم يمثّلون خمسة أحزاب مختلفة، فيما عُيّن، في العام 2019، أوّل وزير في الحكومة يصرّح أنّه مثلّي وهو وزير الصّحة «نيتسان هورويتز». كما يحظى هؤلاء بحماية قوانين مناهضة للتمييز، ويتمتعون بحقوق التبنّي والميراث بحال الزّواج، كما سمحت لهم القوانين بالخدمة في الجيش منذ العام 1993 [37]. ووصف استطلاع أجرته شركة «أمريكان إيرلاينز» مدينة «تلّ أبيب» أنها «عاصمة المثلّيين» في العالم، إذ حصلت على الرقم الأعلى من الأصوات 38%. وهناك جوانب أخرى، كازدياد منسوب العنف بين الناشئة وارتفاع معدل الجريمة والتهرّب من الخدمة العسكريّة، تنذر كلّها بفشل المشروع القديم – الجديد بتغيير الوضع الديمغرافي على حساب الفلسطينيين.

أنشأت مدارس دينيّة خاصة لتخريج الحاخامات الشواذ جنسيًا.

36 – عبد الوهاب المسيري، انهيار إسرائيل من الداخل، لا طبعة، القاهرة: دار المعارف، 2001، ص 181.

37 – المثلية الجنسيّة: عدد غير مسبوق من النواب المثليين في الكنيست الإسرائيلي، 2020/6/18، https://www.bbc.com/arabic/middleeast-53096548

38 – موقع عرب 48، 2012/2/12

ثالثًا: تآكل الردع الإسرائيلي

اعتمدت «إسرائيل» معادلة الردع الاستراتيجي منذ إعلان نشوئها على أرض فلسطين المحتلّة في العام 1948، ويمكن استعراضها كالآتي [39]:

مرحلة الردع التقليدي: شبه الشامل، وبدأت منذ العام 1948، واستمرت إلى حرب العام 1967.

مرحلة الردع المحدود: تلت حرب العام 1967 وانتهت بحرب الاستنزاف مع سوريا العام 1974.

مرحلة الردع الشامل: بدأت في العام 1974 بعد توقيع فض الاشتباك مع سوريا في الجولان، وتنامت مع اجتياح العام 1978، حتى العام 1982 وإخراج الفلسطينيين بسلاحهم وقيادتهم من لبنان، وارتكاب مجازر صبرا وشاتيلا، فبدت «إسرائيل» وكأنها مالكة القوة الوحيدة في المنطقة.

مرحلة اهتزاز الردع: بدأت في العام 1982 عندما انطلقت المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي.

مرحلة تآكل الردع: بدأت في العام 1990 مع تنامي المقاومة في لبنان، وأبرز تجلياتها انسحاب إسرائيل من لبنان عام 2000، ثم الانسحاب من غزة في العام 2005.

مرحلة الردع المتبادل: نشأت بعد العام 2006، وتعزّزت بعد أن تكرّر الفشل الإسرائيلي في غزة سنة 2009، ولا زالت تتنامى حتى اليوم، خاصة بعد تشكّل ضمني لمنظومة جبهة المقاومة والممانعة، واعتماد استراتيجية الحرب الشاملة، وهذه المرحلة تؤشر لانهيار الردع الإسرائيلي.

39 – أمين حطيط، انهيار الردع الإسرائيلي، المستقبل العربي: نشرة شؤون أمنيّة واستراتيجية، مج 34، العدد 398، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، نيسان 2012

استطاع انتصار تموز 2006 من نقل قوة الردع من يد «إسرائيل» إلى يد محور المقاومة، وهو تأكيد لما ذكره تقرير «التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط»، والصادر عن جامعة تل أبيب العام 2007، رأى أنَّ «قوة الردع الإسرائيليّة تضرّرت في أعقاب حرب لبنان الثانية، ومسّت بصورة الردع الإسرائيليّة، وكشفت نقاط ضعف الجيش الإسرائيلي وعمليّة صنع القرارات في إسرائيل»[40]؛ وشكّلت هذه الحرب مصداقًا حقيقيًا لقوة الردع الجديدة للمقاومة التي بدأت تتشكّل صورتها في العقل الجمعي في «إسرائيل»، وأشعرت جمهورها بالتهديد الوجودي للمرة الأولى، ودفعته إلى التفكير في حقيقة أن الطرف الآخر قادر فعلًا على التحدّي، ليس فقط على الردّ، بل في بعث الخوف التاريخي من الإبادة والزوال في الموروث اليهودي. وأصبحت «إسرائيل» أسيرة العجز الاستراتيجي لاستخدام القوة، فإن «صورة الدّولة القويّة الجبّارة، التي تمتلك جيشًا ضخمًا وقويًا ومتطورًا، قادرًا على توجيه ضربات ساحقة لأعدائنا، قد تزعزعت»[41]. وبعد عشر سنوات على هزيمة أيار العام 2000، يكتب معلّق الشؤون الأمنيّة، في صحيفة يديعوت أحرونوت، «رون بن يشاي»: «لا يمكنني نسيان خطاب نصرالله في بنت جبيل، خطاب «بيت العنكبوت»، فقد علم أن يوم انسحاب الجيش من الحزام الأمني هو فقط بداية فصل جديد، وليس نهاية القصة»[42].

> **استطاع انتصار تموز 2006 من نقل قوة الردع من يد «إسرائيل» إلى يد محور المقاومة، وهو تأكيد لما ذكره تقرير «التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط».**

بعد مرور أكثر من 19 عامًا على خطاب النصر في بنت جبيل، رأى الجنرال

40 – عباس الزين، «إسرائيل» مرتدعة.. هكذا بات الخطر وجوديًا، الميادين نت، 6 أيار 2020
41 – زئيف شيف، هآرتس، 2006/8/11
42 – صحيفة يديعوت أحرونوت، 2010/5/23

الإسرائيليّ في الاحتياط، عاموس غلعاد أن «إسرائيل منزل محمي بجدران قوية بينما يأكله النمل الأبيض من الداخل»[43]. وجاء هذا الوصف في مقابلة تمهيدية لمؤتمر هرتسليا عام 2019، والذي يرأسه غلعاد؛ وحملت إحدى الندوات عنوان: «هل تنتصر إسرائيل في الحرب المقبلة؟»، واتفق جميع المتحدّثين على أن «قواعد الاشتباك والمعادلات في الحروب المقبلة ستكون مغايرة لما سبق.. بما يشير إلى أن نهاية الحرب ستكون تعادلًا استراتيجيًا بين الجانبين، لا يمكن معه إسرائيليًا ادّعاء الانتصار»[44].

> بعد مرور أكثر من 19 عامًا على خطاب النصر في بنت جبيل، رأى الجنرال الإسرائيليّ في الاحتياط، عاموس غلعاد أن «إسرائيل منزل محمي بجدران قوية بينما يأكله النمل الأبيض من الداخل»

يبرز جانب آخر من جوانب الخطر الاستراتيجي الأكثر إثارة للقلق، في تدنّي روح القتال والتطوّع في الجيش، وانخفاض الرغبة في الانضمام لألوية قتالية، والانخفاض الحاد في رغبة المجنّدين للانضمام للجيش؛ فقد لفت تقييم الاستخبارات العسكريّة للعام 2018 إلى «تآكل الروح القتالية لدى الجنود في ظّل رغبة المجندين بالالتحاق بالوحدات التقنيّة والاستخباراتيّة بدلًا من الوحدات القتاليّة، خوفًا على حياتهم»[45].

43 – زهير أندراوس، النمل الأبيض يأكل إسرائيل، صحيفة رأي اليوم، 2019/7/2
44 – رئيس معهد هرتسليا: النمل الأبيض يأكل إسرائيل، وكالة وطن الفلسطينية، 2019/7/3
45 – صحيفة يديعوت أحرونوت، 2018/12/25

المحور الثاني

الصورة بندقيّة: الإعلام الحربي وزمن الانتصارات

تمهيد

تطوّرت حركة الإعلام في العصر الحديث، وأصبح الإعلام الحربي فرعًا متخصصًا ومهمًا من أركان الجيوش في أي دولة، بل هو أحد أدواته وليس منفصلًا عنه. فعمله منوط بتقديم المعلومات الدقيقة والصادقة والحقائق التي تساعد المواطن على إدراك ما يجري في المجال العسكري، وتكوين آراء صائبة في القضايا الوطنيّة. تجربتنا مع المقاومة الإسلاميّة في لبنان، ثم في سوريا وحاليًا في اليمن، يبرز الإعلام الحربي في محور المقاومة ركنًا أساسيًا في كشف الحقائق الميدانيّة التي تجري في المعارك العسكريّة. وهذا العنصر أو العامل كان له دوره الهائل إيجابيًا، حين قلب المعادلة في أثناء «العصر الإسرائيلي» الذي كان مسيطرًا على الإعلام، فانبثقت فلسفة الإعلام ودورها في ماهيّة التّفكير وآثار الأفكار في توجيه الرّأي العام إبّان الحروب الوجوديّة في محورين: الأوّل عمليّة جذب قهري تتلاعب بالعقول من خلال تزييف الحقائق؛ والثاني أضاءت العقول وبنت جدارًا عاليًا من الثقة والمعنويات الحقيقيّة، ووطدت علاقة المقاومة بمجتمعها إلى أبعد الحدود.

> تجربتنا مع المقاومة الإسلاميّة في لبنان، ثم في سوريا وحاليًا في اليمن، يبرز الإعلام الحربي في محور المقاومة ركنًا أساسيًا في كشف الحقائق الميدانيّة التي تجري في المعارك العسكريّة.

مقدّمة

عملت وسائل الإعلام الحديثة، بمختلف اتجاهاتها، على معالجة المادّة الإعلاميّة وتنقيحها وضبط أهدافها، قبل إرسالها إلى غايتها المنشودة. فالصّورة أصبحت حقيقة، بغض النّظر عن مدى ارتباطها بالواقع، والصورة الإعلاميّة التي نشهدها اليوم، ما هي إلاّ وسيلة صراع قوى قادرة على إنتاج إعلام يخدم غايتها السّياسيّة والاقتصاديّة. أضيف إليها، في السّنوات الأخيرة، مواقع التواصل الاجتماعي التي تؤثّر في اتّجاهات الرّأي العام، وفي عقول الأفراد، خصوصًا الشباب الذي يتعامل أكثر مع التكنولوجيا الحديثة، حتى باتت «الصّورة تفصح أكثر من ألف كلمة»[46].

لذلك معالجة موضوع الإعلام ومدى تأثيره في الرّأي العام، ونقل الصّورة الإعلاميّة بين حقيقة الواقع وتغييبه، هو من الموضوعات الأكثر أهميّة في معركة الوعي الثقافي عند الجماهير. وبحثنا تتمحور إشكاليّته، بشكل أساسي، حول منهجيّة الصّورة الإعلاميّة ومدى تأثيرها في الرّأي العام أثناء الحروب. كيف يمكننا الوصول إلى حقيقة واضحة للحروب الميدانيّة؟ هل تؤدّي الصّورة الإعلاميّة للحروب الدّائرة دورها في نقل الوقائع أم أنّها تخطّت الواقع وأسّست «لواقع جديد» وهي الصّورة الافتراضية اللاّواقعيّة المتحقّقة؟ هل موت الواقع الحقيقي في الإعلام يمكنه أن يؤدّي إلى تغيير حقيقي على مستوى الإنسانيّة؟

> **الصّورة أصبحت حقيقة، بغض النّظر عن مدى ارتباطها بالواقع، والصورة الإعلاميّة التي نشهدها اليوم، ما هي إلاّ وسيلة صراع قوى قادرة على إنتاج إعلام يخدم غايتها السّياسيّة والاقتصاديّة.**

46 – فيليب تايلور، **قصف العقول**. (ترجمة. سامي خشبة)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000، ص34.

أوّلًا: إشكاليّة الصّورة البنيّة وشكلها في العمليات العسكريّة

إزاء ما يشهده العالم الحديث من تطوّرات سريعة، يواكبها الإعلام بمجرياته على مختلف الرؤى والصعد. وهنا تُطرح عدة إشكاليات: هل الصورة بُنّية؟ ما هي مكوّنات البنى الأساسيّة للصورة الّتي تقوم عليها الحرب الإعلاميّة؟ وما هو دورها في السّلم والحرب؟ هل الإعلام الحربي هو خير بديل لما خفي من حقائق؟

يقوم الإعلام الحربي بتقديم مادّة إعلاميّة موثّقة بهدف كشف الحقائق المؤيّدة بدقّة تؤدّي إلى فضح أكاذيب العدوّ وتدمير الرّوح المعنويّة عنده من جهة، وتوضيح الصّورة للرّأي العام ورفع الرّوح المعنويّة عند الشّعب من جهة أخرى، فإلى أي مدى يمكن للإعلام الحربي أن يكون شفّافًا وصادقًا ومطلقًا في تقديم المادّة الإعلاميّة مع الحفاظ على قدرتها في التّأثير على العدوّ والصّديق؟ وما هو الخط الأحمر الفاصل بين ما يمكن تقديمه للجمهور وبين ما يجب إخفاؤه حفاظًا على الأسرار العملياتيّة العسكرية؟ وهل المصداقيّة والشّفافية تكون على حساب الأسرار العسكريّة، أم أنّ الأسرار العسكريّة والعملياتيّة تكون على حساب الشفافية؟ وكيف نحكم في قيمة هذه الجدليّة؟

> يقوم الإعلام الحربي بتقديم مادّة إعلاميّة موثّقة بهدف كشف حقائق المؤيّدة بدقّة تؤدّي إلى فضح أكاذيب العدوّ وتدمير الرّوح المعنويّة عنده من جهة، وتوضيح الصّورة للرّأي العام ورفع الرّوح المعنويّة عند الشّعب من جهة أخرى.

لقد أمسى الإعلام المنهج يدير العالم، ولم تعد تقتصر وظيفته على الإبلاغ عن حدث ما، بل أصبح هو نفسه منتجًا للحدث، وله أيديولوجيّته الخاصة

به. هو لا يؤثّر في الوعي والأفكار والتصوّرات فحسب، بل في كيفيّة الإدراك والرّؤية ويتجاوزهما إلى صناعة الوعي والمفاهيم. ومعنى هذا انتقال آليّات التزييف من العمل على ملكة الفهم إلى العمل على ملكة الحسّ والإدراك الحسّي. ومن هنا، تغيّرت المصطلحات والجهاز المفاهيمي والإطار التحليلي من نظريّات الوعي الزّائف إلى نظريّات الدّال والمدلول، والرّمز والصّورة، فأصبحت الوسيلة الإعلاميّة أداةً لتطويع الجماهير وقولبتها وصناعة عقولها، وأصبح للمنبر الإعلامي تأثيرًا مباشرًا في كل مرفق من مرافق حياتنا الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة. كذلك باتت «الصّورة» هي التي تسيطر على الخيال وتمتلكه[47].

> لقد أمسى الإعلام الممنهج يدير العالم، ولم تعد تقتصر وظيفته على الإبلاغ عن حدث ما، بل أصبح هو نفسه منتجًا للحدث، وله أيديولوجيّته الخاصة به.

بعدما أصبحت اليوم الجبهة الافتراضية في الإعلام هي عين اللاّواقع، تعود بنا المقاربات إلى كهف أفلاطون، فالحقيقة أن سيطرة وسائل الإعلام على الحياة المعاصرة تشبه أسطورة الكهف عند أفلاطون[48]. تشكّل أسطورة الكهف مثالًا جيدًا ودالًا على العالم الذي يخلقه الإعلام، فكما يفسّر أونيل[49]. (1952 - 2001) J. O'Neill

47 – المصدر نفسه، ص53.

48 – عندما كان أفلاطون في معرض شرح نظريته في عالم المثل والفرق بينه وبين عالم المحسوسات، ضرب مثلًا في قصة عرفت فيما بعد بأسطورة الكهف. فالذين يعيشون في العالم المحسوس يشبهون أناسًا يعيشون في كهف، ولدوا وتربوا فيه ولم يخرجوا منه أبدًا، وهم مقيّدون بسلاسل وأغلال تقيدهم داخل الكهف بحيث إنّ أنظارهم لا ترى إلا الحائط الداخلي للكهف ولا تستطيع رؤية مخرجه. وخارج هذا الكهف توجد أشياء مثل الأشجار والحيوانات والناس الذين يمرون أمام مدخل الكهف بحيث تعكس الشمس ظلال هذه الأشياء على جدران الكهف، لكن لا يعرف أهل الكهف أنّ ما يرونه مجرد ظلال وأخيلة بل ينظرون إليها على أنها أشياء حقيقية، وذلك لأنّهم لم يخرجوا من كهفهم أبدًا ولم يعرفوا حقيقة الظلال، ولا تمكنهم أغلالهم من الالتفات الى الوراء ومعرفة الأشياء الحقيقية التي تنعكس ظلالها على جدران الكهف ولا معرفة الشمس التي هي مصدر النور الذي يحدث الأخيلة.

49 – جون باتريك أونيل (1952 – 2001) خبير أمريكي في مكافحة الإرهاب، وعمل بصفة عميل خاص، ومسؤول في مكتب التحقيقات الفيدرالي حتى استقالته في أواخر العام 2001، توفي في 11 سبتمبر/ ايلول(انهيار مركز التجارة العالمي).

كهف أفلاطون، يخلق الإعلام عالمًا وهميًّا يعتقد النّاس في حقيقته وصدقه، ويلتفّون حول وسائل الإعلام ويبقون مقيّدين أمامها تمامًا، مثلما كان أهل الكهف مقيدين داخله، ولا ينقل الإعلام لهم سوى الصّور، تمامًا مثلما ينظر أهل الكهف إلى الأخيلة. الحقيقة أن «شكل الكهف الّذي يصفه أفلاطون يشبه الكاميرا، فهي كهف مظلم لا يدخله الضوء إلا من فتحة صغيرة هي العدسة»[50].

> يخلق الإعلام عالمًا وهميًا يعتقد النّاس في حقيقته وصدقه، ويلتفّون حول وسائل الإعلام ويبقون مقيّدين أمامها تمامًا.

إنّ سيطرة وسائل الإعلام على حياتنا تجعلنا سجناء لكهف أفلاطون. فالصّورة المصنوعة التي هي مجرد انعكاس للواقع تُؤخذ على أنّها الواقع نفسه، ويكون لها مصداقيّة تفوق مصداقيّة الواقع الحقيقي. وإذا ما نظرنا إلى الصّورة كمضمون، ومن حيث ما تحويه من رموز ومعان أو مضامين، نرى أنّ هناك مضمونًا ظاهرًا ومضمونًا مستترًا وكلّ واحد منهما يكمل الآخر. وعلى هذا الأساس، فإنّه لا يتمّ النّظر إلى الصّورة بوصفها شكلًا يقوم بدوره في جذب انتباه المتلقّي أو إثارة اهتمامه، ولكن يتمّ النّظر إلى تكوينها وما تحمله من أفكار ومعانٍ، أو تجسّده من معالم أو أبعاد تركّز على شخصيات في إطار الغرض الذّي يسعى إلى تحقيقه المصوّر[51].

لمّا كانت فلسفة الإعلام تترفّع عن كل ما هو جزئي في تقييمها للواقع، فترسم الخطوط العامّة للإعلام المعاصر. وبما أنّ الصّورة الإعلاميّة أصبحت حقيقة بغضّ النّظر عن مدى ارتباطها بالواقع، فقد اتّخذنا من إعلام الحروب نموذجًا للبحث لما لهذا الموضوع من علاقة مع الواقع الحياتي المعاصر. وبسبب ازدياد الصّراعات الدّموية الّتي تعصف بالمنطقة العربيّة، كان لا بد من الخوض في هذا المجال علّه يسدّ حاجة معرفيّة، فيوضّح الغايات

50 – O'Neill, John. Plato's cave, Desire, Power and the specular function of the media, New Jersy:Ables Publishing date 1991, Publisher ABC–CLIO.
51 – ibid, p.

الكامنة وراء الهجمات الإعلاميّة الكثيرة، ويبيّن بعض الجوانب الإعلاميّة في الحروب القائمة اليوم، والّتي بإمكاننا أن نصفها بالحروب الوجوديّة، بعدما انهارت بعض المعايير الإعلاميّة الأخلاقيّة والإنسانيّة لتحّل محلّها أدبيّات غير مسؤولة انتشرت كالنّار في الهشيم في المجتمعات العربيّة.

الغاية من الحرب هي تحقيق النصر إمّا من طريق استسلام العدوّ أو تدميره.

كل ذلك حصل بفعل الاستثمار في الإعلام وتوجيهه لاستهداف فئة من النّاس، من خلال اللّعب على الوتر الغرائزي والعاطفي في سبيل تحقيق غايات سياسيّة بحتة. فالغاية من الحرب هي تحقيق النصر إمّا من طريق استسلام العدوّ أو تدميره. والحرب الإعلامية والإعلام الحربي هما جزء من الحرب، فالقول إنّ الغاية تسوّغ الوسيلة هو عين الصّواب، وفاق ذلك المنطق، فالنّصر هو الغاية وإعلام الحروب هو إحدى الوسائل التي تخدم هذا النصر. إذًا، ستكون الحرب الإعلاميّة والإعلام الحربي متلوّنَين تبعًا لظروف الحرب، فهما يضحّيان بالشّفافية والمصداقيّة والمثاليّات، ويركّزان على ما يخدم النّصر ونجاح العمليّات الحربيّة والحفاظ على سريّة العمليات حتى «أصبحت الدّعاية والحرب النفسيّة بديلًا فعليًّا وحقيقيًّا عن الحرب»[52].

الحرب في جوهرها تبادل منظّم للعنف، والدّعاية في جوهرها عمليّة إقناع منظّمة، بينما تهاجم الأولى الجسد، فإن الثّانية تنقضّ على العقل، الأولى حسّيّة والثّانية نفسيّة، وفي زمن الحرب تهاجم الدّعاية والأعمال الحربيّة النّفسيّة وعي الإنسان حيث لا تستطيع الأسلحة الأخرى أن تصل إليه، في محاولة للتأثير في طريقة أداء الأطراف المشاركة في ميدان القتال. إنّهما تحاولان «رفع معنويات أحد الجانبين وأن تنسفا إرادة القتال لدى الآخر».[53]

52 – فيليب تايلور، **قصف العقول**. مصدر سابق، ص26.
53 – المصدر نفسه، ص23.

لذلك؛ فإنّ الدّور المتنامي لوسائل الإعلام والذي أصابت سهامه مفاصل حياتنا، تمّ تسخيره في تظهير العمليّات الحربيّة الّتي قامت بين الأطراف المتنازعة، فأصبح يلعب دورًا يتخطّى إمكانات الأسلحة الحربيّة.

> **الحرب في جوهرها تبادل منظّم للعنف، والدّعاية في جوهرها عمليّة إقناع منظّمة، بينما تهاجم الأولى الجسد، فإن الثّانية تنقضّ على العقل، الأولى حسّيّة والثّانية نفسيّة.**

يمكن قراءة هذا في تحوّل عداء متبادل بين دولتين عظيمتين إلى حرب باردة، حرب أيديولوجيّات، حيث أصبحت «الأسلحة فيها أقلّ أهميّة من الكلمات»[54]. فكما يقول جيريمي برنار كوربن J. Corbyn [55] : «إنّ القدرة على رسم حدود الواقع هي القدرة على السّيطرة»، ويفيد السّيناتور فولبرايت (1905-1995) J.William Fulbright [56] أنّ: «عمليّة نقل المعلومات هي السّلطة، واستئثار فئات معيّنة بحق الوصول إليها أو التعامل معها، يمثّل نوعًا من السّلطة» [57]. ومع تغيّر ظروف المجتمع والتّطوّر التّكنولوجي الهائل، تغيّرت طبيعة الحروب، وفرضت إنتاج أساليب جديدة لمكافحة التهديدات غير المتوقعة... ولمواجهة هذه التّهديدات «ذهب صانعو السّياسة إلى القول إنّ الظّروف الاستثنائيّة تسوّغ اللّجوء إلى إجراءات استثنائيّة، تتضمّن أساليب جديدة للاستجواب بهدف الكشف عن المؤامرات الإرهابيّة واللجوء

54 – المصدر نفسه، ص356.

55 – جيريمي برنار كوربين(1949) سياسي بريطاني ورئيس حزب العمال البريطاني المعارض منذ العام 2015 وعضو بالبرلمان البريطاني عن دائرة إسلنغتون الشمالية منذ العام 1983.

56 – جيمس وليام فولبرايت سيناتور أمريكي ديموقراطي حكم ولاية اركانساس من العام 1945 حتى العام 1975 . ولد في التاسع من أبريل/ نيسانالعام 1905. أهم انجازاته أنه أسّس برنامج فولبرايت للمنح التعليمية والتبادل الطلابي العام 1946 عنطريق اقتراحه كمشروع يحمل اسمه في الكونغرس الأمريكي، وبالفعل تم الموافقة عليه. كان يهدف من مشروعه هذا تعريف العالم بأمريكا عن طريق استقطاب المبدعين من جميع أنحاء العالم عن طريق منح الدراسة أو البحث العلمي في الجامعات الأمريكية. لا يزال هذا البرنامج موجودًا إلى الآن، ويستفيد منه الكثيرون حول العالم.

57 – هربرت شيللر، **المتلاعبون بالعقول**، (ترجمة: عبد السلام رضوان)، الكويت، عالم المعرفة،1999، ص212.

إلى ضربات عسكريّة استباقيّة لإحباطها» [58].

من هنا برزت الدّعاية بوَصفها بديلًا للحرب الحقيقيّة، وهي ذاتها أصبحت تهديدًا للسلام، حيث طالب البعض بـ «نزع السّلاح في حرب الكلمات» [59]. وفي هذا السّياق، يقول الفيلسوف الفرنسي جان بودريار «إنّ موقعنا الاستراتيجي أصبح شاشة التّلفزيون، وهي تتعرّض للقصف بشكل يوميّ [60]، بحيث يتلقّى الرّأي العام القرارات المصاغة. وهذا يبرهن عن دخولنا إلى مرحلة من اللاّمبالاة الانتقاليّة يكون فيها العبور إلى الحرب بمثابة نوع من اللاحدث، حرب تُصوَّر من أعماق حجرة مظلمة فحسب». ويضيف بودريار أنّ الحرب أصبحت «سيناريو فوق واقعي» حيث تعرّف الحقيقة تحديدًا بمفردات خطابيّة وأدائيّة [61].

لذلك؛ فالدّعاية في الحقيقة ليست أكثر من تنظيم الوسائل التي تصَمَّم لإقناع النّاس بأن يفكّروا ويسلكوا بطريقة معيّنة. وهذا في زمن الحرب يعني دَفعهم إلى القتال أو إلى مساندة القتال وتأييده [62] من جهة، أو إلى الاستنكاف عنها، الاستسلام أو عبر إيجاد الصّيغة المناسبة للتّراجع عنها أو وقف الحرب، من جهة أخرى.

الدّعاية في الحقيقة ليست أكثر من تنظيم الوسائل التي تصَمَّم لإقناع النّاس بأن يفكّروا ويسلكوا بطريقة معيّنة.

58 – ديفيد فيشر، **الأخلاقيات والحرب**، (ترجمة: أ.د. عماد عواد)، الكويت، عالم المعرفة، 2014، ص24–25.

59 – فيليب تايلور، **قصف العقول**. مصدر سابق، ص357.

60 – كريستوفر نوريس، **نظريّة لانقديّة**، (ترجمة. عابد اسماعيل)، بيروت، دار الكنوز الأدبيّة، 1999، ص 12.

61 – المصدر نفسه، ص 14.

62 – فيليب تايلور، **قصف العقول**. مصدر سابق، ص24.

ثانيًا: الإعلام الحربي جزءًا من الحرب وليس دعائيًا

إلى أي مدى يمكن للحرب الإعلاميّة والإعلام الحربي أن يكونا جزءًا من الحرب، وهل ما طرحه ميكيافللي بأنّ الغاية تسوّغ الوسيلة هو عين الصّواب؟ كون النّصر هو الغاية وإعلام الحروب هو إحدى الوسائل، بهذا تكون الحرب الإعلاميّة والإعلام الحربي متلوّنَين تِبعًا لظروف الحرب، فيضحّيان بالشّفافية والمصداقيّة والمثاليات، ويتركّزان على ما يخدم النّصر ونجاح العمليّات الحربيّة والحفاظ على سريّة العمليّات.

أمّا إذا كانت الصّورة الإعلاميّة هي عين الواقع، فلماذا تتعدّد وجهات التّغطية الإعلاميّة من حيث المعلومات التي تصلنا؟ هل أصبح الإعلام هو الواقع المتحقّق في الأذهان والعقول، والحروب الدائرة على الأرض هي مجرّد شرارة يستند إليها الإعلام لبثّ مصالحهُ وتوجيه الرأي العام لقبول سياسته؟ أم أنّ موت الواقع الحقيقي، أو بكلمة أدقّ «تغييبه» يقابله إحياء لواقع افتراضي جديد يغيّر من حقيقة أي صراع حاصل أو سيحصل، فالصّورة الإعلاميّة لم تعد أداة لنقل الحقيقة؛ بل أصبحت مصنعًا لإنتاج الحقائق وتوريدها إلى الرأي العام.

هنا، نقف أمام ثلاثة سيناريوهات لفهم جوهر الدور الإعلامي. أوّلها يتمّ عبر نقل الوقائع كما هي بغضّ النّظر عن مدى تأثيرها في مجرى الحرب والدّعم النّفسي، سواء للعدوّ أو للجبهة الدّاخلية، متّخذًا من المصداقيّة والشفافيّة غاية عليا. أمّا ثانيها، وانطلاقًا من مبدأ الميكيافيليّة القائل بأنّ «الغاية تسوّغ الوسيلة»، وبما أنّ الإعلام والصّورة الإعلاميّة جزءٌ لا يتجزّأ من الحرب، فعلى الإعلام أن يكيّف هذه الصّورة بما يخدم العمليّات العسكريّة ويضحّي بالتّالي بالمصداقيّة والشفافية. وثالثها؛ يقول إنّ الإعلام يعمل من خلال الصّورة على إنتاج دعاية تساعد على تماسك الجبهة

الدّاخليّة وتأمين الدّعم النّفسي والمعنوي للمحاربين، وكذلك تأمين البيئة الحاضنة، وبالتّالي فهو يكيّف الصّورة الإعلاميّة بما يخدم هذه الغاية.

إنّ الموضوع قيد الدراسة هو في واقع الأمر محاولة للإلمام بالصّورة ومدى تأثيرها في بناء الرأي العام، وخصوصًا أثناء الحروب. فهذا الموضوع يحتمل أبعادًا ثلاثة: دراسة كيفيّة تشكّل المعرفة والعلاقة الجدليّة التي تربطها بالصّورة، والوقوف على أهم النظريّات الفلسفيّة التي اهتمت بعمليات الإدراك البصري، والتفكير بالصّورة. وهو يرمي أيضًا إلى تسليط الضوء على أحد المجالات التي تُعنى باستثمار الصّورة الإعلاميّة بين حقيقة الواقع وغيابه. في هذا السياق، يبرز أمامنا ثلاث نقاط:

أ- تشكّل المعرفة وعلاقتها الجدليّة بالصّورة

نغوص أولًا في النقطة الأولى لنعالج من خلال مفهوم الصورة الإعلاميّة بين الحقيقة والواقع، وهي التي أصبحت سلطة تخترق أنسجة الوعي، ومفهوم اللغة والخطاب كمنظومة مرتبطة، بشكل مباشر في طريق تشكّل المعرفة، للبحث في الصورة ومدى ارتباطها بالواقع أثناء الحروب، وكيف أصبحت الصورة ميدان حرب. ونظرًا إلى أهميّة موضوع المعرفة وطريقة تشكّلها، لما لها من علاقة جدليّة مرتبطة بحراك الواقع ومعطياته والفرض الأخلاقي والأيديولوجي في تركيب الصورة، دفعنا لتناول مفهوم الحقيقة ومدى ارتباطها بالواقع، فلم يعد أحد يعيش في الواقع الحقيقي بل في وسط يشير إلى الواقع الحقيقي فقط، بحيث إنّ الإنسان المعاصر قد رضي بأن يستعيض بالنّسخة عن الأصل، وبما يحاكي الواقع عن الواقع الحقيقي، وسيادة النّسخة على الأصل.

تصل هذه النقطة إلى خلاصة تستند على رأي «بودريار» في أنّ الرأي العام عالق في المضامين المعروضة، حتى أنّه متورّط في تلك الدائرة المغلقة للعلاقة بين الإنسان والآلة؛ لأنّ هذه الأخيرة تُملي علينا ما يُفترض وصوله إلينا،

كون المادة الإخباريّة ملكًا للوسيلة الإعلاميّة، مهما ادّعت تلك الوسيلة الموضوعيّة والحياد فهي ليست سوى انعكاس القوى المالكة لقرارها فتخضع الصّورة لميول المشرفين عليها.

إذ تُصنَع الأحداث والأخبار وتُنمّط، وبذلك يمكن للصّورة أن تقول شيئًا، والواقع يقول شيئًا أخر وهو الحقيقة، فلا يمكن أن يُخرج الرأي العام من هذه الدوّامة سوى مستوى إدراكه للصور الإخباريّة. وهو ما يوفّره المستوى الثقافي والمعرفي للمُشاهد، وهذا مثار حساسية انهزامنا أمام وسائل الإعلام التي تفكّر بالنيابة عنّا، وقد أصبحت هي المسيطرة على عقل المجتمع والمتحكّمة بأسلوبه في التفاعل.

ب- الأيدولوجيا والإعلام منظومة فلسفيّة في الإعلام الحربي

أمّا النقطة الثانية تطرح دور إعلام الحروب في تشكيل الرأي العام، وعليه، لا بدّ من تسليط الضوء على تأثير السياسة على الخطاب الحربي وكيفيّة تشكل صناعة الرأي العام أثناء الحروب والتطرّق إلى مدى تفاعل الرأي العام مع اللّغة والخطاب كمنظومة مرتبطة بشكل مباشر بالأيديولوجيا، ودور الإعلام في ترسيخها أثناء الحروب كما البحث في إمكانيّة وجود مسوّغات أخلاقيّة للحرب وعلاقة الدعاية بالحرب وصولًا إلى كيفيّة إنتاج الحدث الإعلامي.

هذه جاءت بخلاصة مفادها أنّ الحرب هي محض صراع ينشب حصرًا على المستوى من الزّيف الإستراتيجي، شكل من أشكال تورّط المتفرّج المقولب الذي يمتدّ، ويطغى بدءًا من ألعاب الحرب الخياليّة إلى التغطية المركّزة لحدثٍ ينتمي أساسًا إلى «عالم حقيقي»، والذي يتركنا عاجزين تمامًا عن التفريق بين كلا النموذجين [63]. والدعاية هي عمليّة يجري، من خلالها، توصيل فكرة أو رأي ما إلى شخص آخر بهدف

63 – المصدر نفسه، ص15.

غرض محدد [64]؛ وهي سيناريو ما فوق واقعي (hyper – real) وفق عبارة «بودريار»، حيث تُعرّف الحقيقة تحديدًا بمفردات خطابيّة وأدائيّة محضة، وحسبما يمليه إجماع إعلامي متوفّر [65].

إذ إنّ الدعاية، في الحقيقة، ليست أكثر من تنظيم الوسائل التي تصمّم لإقناع الناس بأن يفكروا ويسلكوا بطريقة معينة، وهذا يعني – في زمن الحرب – دفعهم إلى القتال أو إلى مساندته وتأييده [66]. ولا يَعبُر الحدث مطلقًا في الصّورة نحو شيء آخر. إنّما تعيد الصّورة دائمًا الجزء الذي نحتاجه للكل الذي نراه، [67] وهكذا تنشأ علاقة عكسيّة بين مدى التغطية ومستوى الإلمام الجماهيري المطّلع [68].

ج - استثمار الصّورة الإعلاميّة بين حقيقة الواقع وغيابه

أما بالنسبة إلى النقطة الأخيرة، فقد طرحت موضوع الصّورة خلال الحروب بطريقة تطبيقيّة، وحملت عنوان «الإعلام الحربي في حرب تموز 2006»، وغرضها تحديد استراتيجية الإعلام الحربي في بناء الرأي العام وكيفيّة استخدام تكنولوجيا الصّورة أثناء الحرب ولاسيّما في حرب تموز. وهي محدّدة أكثر حول إعلام العدو الإسرائيلي أثناء حربه على لبنان ومواضع النجاح والإخفاق، وإعلام حزب الله ومواضع النجاح والإخفاق.

إذا أردنا حصر الأمور والتحليلات، في أثناء حرب تموز، نستطيع القول إنّ حزب الله حصد الإجماع الوطني ... أمّا الإعلام الإسرائيلي فقد أخفق في تقديم الصّورة الحقيقيّة لما يجري في الحرب، بل حاول التكتم على خسائره وأغفل الكلام عن معركة «وادي الحجير»، على سبيل المثال، ولَم يعطِ التوصيف الطبيعي لما حدث آنذاك، ولو

64 – فيليب تايلور، مصدر سابق، ص27.
65 – كريستوفر نوريس، **نظريّة لانقديّة**، مصدر سابق، ص12.
66 – فيليب تايلور، **قصف العقول**. المصدر السابق، ص24.
67 – رولان بارت، الغرفة المضيئة (تأملات في الفوتوغرافيا)، ترجمة هالة نمّر، مراجعة أنور مغيث، المركز القومي للترجمة – مصر – القاهرة، ط 1، 2010، ص10.
68 – كريستوفر نوريس، مصدر سابق، ص29.

أضاء على ما حصل كان أوّل من تأثر جمهوره وشعبه وكلّ الناس الموجودة بدولة الاحتلال. كما أنّ الإسرائيلي «كذّب»، ولكن ليكون التعبير أكثر دقّة وموضوعيّة، بإمكاننا القول إنّ الإسرائيلي «تجاهل» بعض الوقائع في الإعلام. وهو أمر طبيعي في الحروب؛ لأنّ الحكومة عليها المحافظة على المعنويات الدّاخليّة. كما رأى «فايد» أنّ الاعلام والإعلان كانا لصالح حزب الله؛ مشيرًا إلى أنّ رؤيتهم للأمور منقوصة؛ كونهم منحازين أساسًا ضد إسرائيل، وليس لديهم أي اطلاع على الجو الداخلي الإسرائيلي إلّا من خلال ما يسربّه الإعلام العالمي [69].

> **إذا أردنا حصر الأمور والتحليلات، أثناء حرب تموز، نستطيع القول إنّ حزب الله حصد الإجماع الوطني ... أمّا الإعلام الإسرائيلي فقد أخفق في عدم تقديم الصّورة الحقيقيّة لما يجري في الحرب.**

لقد ركّز حزب الله إعلاميًا على علاقته بالأرض؛ لأنّه يدافع عن الشعب والأرض، بينما الإسرائيلي معتدٍ بالأساس. فالتدمير وسقوط الضحايا سببه الاعتداء الإسرائيلي على لبنان، وشهداء حزب الله سقطوا في سبيل الدفاع عن الأرض والوطن، وهذا من الحقوق المشروعة في القوانين الدوليّة.

69 – من مقابلة أجريت مع الصحافي راشد فايد، صحافي في جريدة المستقبل.

خاتمة العدد

بُنيَ المجتمع الإسرائيلي على مبدأ مركزي مفاده أن «إسرائيل» هي جيش له دولة وليس دولة لها جيش، فسخّرت العناصر الماديّة والمعنويّة والموارد الماليّة والبشريّة والمجالات العسكريّة والسياسيّة، لدعم وتمتين هذا الكيان وتوفير مقوّمات استمراره. لكّن هذا المجتمع، بمؤسساته وأحزابه وتركيبته الاجتماعيّة المتشظيّة والآتية من ثقافات وهويات مختلفة حدّ التناقض، يواجه اليوم مخاطر وجوديّة يعترف بها مسؤولوه في مواقفهم وتقديراتهم الاستراتيجية.

أبرز هذه المخاطر ما أورده تقرير نشره معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى أعدّه «غادي آيزنكوت»، وهو رئيس الأركان السابق للجيش الإسرائيلي، وجاء فيه: «اليوم تجد إسرائيل نفسها تبحر في مشهد من التهديدات المتّغيرة، فالتحوّل المميّز البارز هو أن خصمها الرئيسي لم يعد تحالفًا من الدّول العربيّة مصمّمًا على تدمير إسرائيل.. بل يشمل خصومها منظمات غير حكوميّة تنتهج استراتيجيّة قائمة على هجمات وتوغّلات محدودة في الأراضي الإسرائيليّة، وفي حين أنّ الهدف الأسمى لهؤلاء الأعداء يبقى على ما هو عليه، ممّا يسبب انهيار دولة إسرائيل وبالتالي القضاء عليها ككيان سياسي»[70].

جاءت تقديرات «آيزنكوت» الحديثة في إطار ما يراه ضرورة لاعتماد توجيهات جديدة حول استراتيجيّة الأمن القومي الإسرائيلي، وما تقتضي متطلباته الأمنيّة خلال العقد القادم من «تجاوز مرحلة كسر هيبة الردع الإسرائيلي، ولا سّيما خلال حرب لبنان العام 2006، وحرب غزة عامي 2008 و2009، والتي أبرزت بوضوح حدود قوة «إسرائيل»، بعد فشلها في تحقيق الأهداف في ظّل مواصلة حزب الله وحركة حماس فرض موازين قوى جديدة غير

70 – غادي أيزنكوت، توجيهات لاستراتيجية الأمن القومي الإسرائيلي، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 2019/10/2

مؤاتية لها استراتيجيًا، إلى جانب محدوديّة قدرتها على حسم الصّراع بالقوة العسكريّة، وكذلك في ظلّ ترجيح خبراء عسكريين إسرائيليين أن الحرب القادمة سيجتاح فيها حزب الله شمال إسرائيل، خاصة منطقة الجليل، بالآلاف من المجموعات القتالية الصغيرة» [71].

كما يشدّد الخبراء أنفسهم على ضرورة «إعطاء عناية خاصة للجبهة الداخليّة، كونها مركز الضعف الإسرائيلي، فانهيارها هو انهيار لكيان الدّولة وزوال وجودها. وفي حال التهديدات عالية الكثافة، فإن نتائج الحرب المستقبليّة مع دولتهم سوف تتقرّر بناءً على ما سيحدث في الجبهة الداخليّة. ولذلك؛ فإنّ حروب المستقبل ستكون مختلفة جوهريًا عن الحروب السابقة. وفي هذا السياق، يذكر النائب السابق لرئيس مجلس الأمن القومي «تشاك فراييخ»، في كتابه «عقيدة الأمن القومي لإسرائيل - لاستراتيجيات جديدة في عصر من التحولات»، أن: «حاجتنا المركزية هي إلى ما أسمّيه صبرًا استراتيجيًا.. نحن نواصل الدفاع عن وجودنا، لكن التهديدات بعيدة المدى، وهي لن تختفي في لحظة، لا يوجد لها حلّ عسكري مباشر». ويشدّد فراييخ على الحاجة إلى تعزيز قدرة الردع فيقول: «أعداؤنا تعرّفوا على نقاط ضعفنا عند مواجهة الجيش الإسرائيلي في ساحة القتال، وسهولة إصابتنا في جبهتنا الداخليّة، ومضوا نحو مواجهة طويلة الأجل تستند إلى مخزون هائل من القذائف والصواريخ» [72].

في السياق ذاته، رأى الباحث «دانيال تورنيلي» العامل في وحدة التحليل الاستخباري في الشبكة المتحدة المرتبطة بمجلة «إيكونوميست»، والصادرة في فيينا، أن من جملة النتائج الحاسمة للنتائج الجيوسياسيّة لحرب تموز 2006 هي أن: «إيران كانت المنتصر الأكبر، فقد أصبحت تتحكّم بمستقبل الأميركيين في العراق، فيما خرج حلفاؤها في لبنان وفلسطين ومصر أقوى من ذي قبل بعد الحرب.. والاستنتاج الأول هو فشل نظريّة أن الهجوم على

71 - المصري، مرجع سابق.
72 - عاموس هارئيل، عاموس، هآرتس، 2019/12/20

حزب الله هو تجربة للهجوم على إيران، فقد حقق الحزب ما لم يستطع أي جيش عربي تحقيقه، حيث فاز في الحرب وكسر هالة الردع الإسرائيليّة»[73].

لطالما كانت القدس محورًا جوهريًا في القضية الفلسطينية، وشكّلت نقطة صراع حقيقي في مسار التسويات التي دخلت فيها الأطراف العربيّة والفلسطينية مع الكيان الإسرائيلي، نظرًا لأهمية المدينة المقدّسة من منظور ديني وعقائدي وتاريخي وسياسي، ولذا سعى الإسرائيليون إلى استدراج اعتراف عربي ودولي بها كعاصمة لكيانهم، في أي مباحثات كانت تجري بينهم وبين الفلسطينيين دون تحقيق أي نتيجة، إلى أن أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب اعترافه بها عاصمة للكيان الإسرائيلي [74].

تبقى معركة «كي الوعي» من أهم القضايا التي تعمل دوائر صنع القرار والاستراتيجيات الدعائية على تكريسها كواحدة من أدوات الحرب الناعمة باتجاه السيطرة والهيمنة، وشكّلت هذه المعركة عنوانًا محوريًا في إطار تأكيد التفوّق الإسرائيلي. وتعزّز هذ العنوان ضمن أجندة الأهداف الإسرائيليّة بعد تحرير العام 2000، وانتصار العام 2006؛ ولكن اتّساع مساحة المواجهة، وتعدّد الأطراف المشاركة فيها مع تغيّر الموازين والمعادلات، أفقدَ القيّمين على صنع القرار الإسرائيلي زمام المبادرة، ولم يعودوا في موقع الفعل والهجوم، بل في موقع رد الفعل واستدراك النتائج، بسبب توالي هزائم المحور الأميركي – الإسرائيلي، ولا سيّما في لبنان وسوريا والعراق واليمن، وتعثّر تحقيق أهدافه في أماكن أخرى. ويردّد قادة «إسرائيل» مقولة مترجمة عن اللاتينية تقول: «إذا أردت السّلام، فاستعد للحرب»، وهذا القول، بحسب «غادي آيزنكوت»: «يعني الاستعداد المقنع لضمان الحفاظ على المصالح الوطنية الحيويّة.. إنه الضمان الأكثر موثوقيّة، أو الوحيد، لإنشاء قوة ردع والحفاظ عليها لمنع الحرب» [75].

في المقابل يؤكد السّيد نصر الله «أننا اليوم أقرب من أي وقت مضى إلى كنيسة القيامة

73 – علي شهاب، قراءة أوروبية استخبارية في نتائج حرب تموز، صحيفة الأخبار، 2007/3/3

74 – أعلن ترامب القدس عاصمة لإسرائيل في خطاب تلاه من البيت الأبيض في واشنطن بتاريخ 6 كانون الأول 2017.

75 – أيزنكوت، غادي، توجيهات لاستراتيجية الأمن القومي الإسرائيلي، مرجع سابق

والمسجد الأقصى» [76]؛ و«المقاومة لديها اليوم قدرات عسكريّة لم تكن موجودة قبل العام 2006 ولديها تطوّر في حرب الأدمغة وفي الخطط والبرامج والكم.. محور المقاومة في موقع قوة وندرس فتح الجبهات معًا.. والحرب الكبرى إذا وقعت ستكون نتيجتها زوال إسرائيل.. وقد تنتهي إسرائيل بتغيّر الظروف التي قامت على أساسها من دون أن نحتاج إلى حرب؛ وهذا سيناريو واقعي» [77].

> قد تنتهي إسرائيل بتغيّر الظروف التي قامت على أساسها من دون أن نحتاج إلى حرب؛ وهذا سيناريو واقعي.

تعاظم دور الإعلام، عمومًا، منذ حرب الخليج الأولى في التسعينيات من القرن العشرين المنصرم، وصولًا إلى ما أطلق عليه «ثورات الربيع العربي»، حين زادت فاعلية وسائل التواصل الاجتماعي بشكل خاص. وفي الحرب دُشّنت جبهة جديدة، هي جبهة «الإعلام الحربي» الذي انخرط بقوّة في الصّراع، فترافقت مع أزيز الرصاص ودوّي المدافع أصوات لوحات الحواسيب، تخوض معركتها أيضًا على الشاشات المضيئة. وما سهّل هذا الأمر وجود الفضاءات المفتوحة وبيئة إعلاميّة (رقميّة) جديدة، بوسع أي فرد «مؤهل» الولوج إليها والمشاركة في الشبكة العنكبوتيّة، فيمكنه تاليًا المساهمة في معركة المعلومات ومحاولة استمالة الرأي العام إلى قضيته.

هذا ما يراه الصحافي «مرتضى حسين»، في مقالة له، في أنّ المعارك حول السّرديات والمعلومات أصبحت جزءًا لا يتجزأ من الحروب والسياسات الحديثة. وتمتلك وسائل التواصل الاجتماعي القدرة على جر العالم كله إلى منطقة رمادية، حيث الفوارق بين المشاركين وغير المشاركين في الصراع غير واضحة، ويختم أنه «بفضل وسائل التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية، ظهرت نسخة من «حرب العصابات العالميّة» التي تنبأ بها مارشال مكلوهان» [78].

76 – من كلمة ألقاها السّيد نصر الله في احتفال لمناسبة يوم القدس العالمي، 2008/9/26

77 – من مقابلة للسيد نصر الله في الذكرى العشرين لعيد المقاومة والتحرير، إذاعة النور، 2020/5/26

78 – Murtaza Hussain, “the new information warfare”, The Intercept, 2017. الترجمة نقلاً عن موقع ساسة بوست.

وعماد هذه الحرب هو «الصّورة»، والتي كانت أداة الشعوب القديمة في إيصال حضارتها وثقافتها. وجميل أن تعرف أنّ عدد من النبات يستخدمها لجذب مصادر الطعام إليه عبر التوهّج بأبهى الألوان، كما تستخدمها الحيوانات والحشرات لجذب الشريك أو إخافة المنافسين عبر تضخيم الحجم، كتضخيم الفريسة لحجمها بعين المفترس بهدف إخافته وردعه. أيضًا؛ هذه الصورة باتت تستخدمها الجيوش كوسيلة ردع أو إظهار قوة؛ كصورة الجنود وهم يؤدون نظام المرصوص بتجانس تام كدليل على قدرة هذا الجيش على التحكّم والسيطرة.

إنّ عصرنا الحديث مكّن الصورة من اختراق ملايين الأجهزة والتواصل مع ملايين الناس والتأثير فيهم، عبر حرف بوصلتهم أو تصحيحها. فالصّورة، في عصرنا، تبوّأت مرتبة تقرير المصير فأضحت تشكّل الدليل الذي لا لبس فيه بغض النظر عن مدى صحّتها أو طرائق تشكيلها وغاياتها. وإنّ أنموذج العراق أبرز دليل على موقع الصّورة في عصرنا، كيف أن الهجوم على العراق استند إلى أدلة محورها استخبارات الصّورة بهدف حشد الرأي العام وتطويع الإجماع للسماح بتنفيذ سيناريوهات عسكريّة بأقل معارضة ممكنة، وبأكثر حجج رادعة. وما نزال، في راهن أيامنا، نشهد قيامة الثورات على سيناريوات محورها صورة منقولة من موقع معيّن، ولا يزال الجدل قائمًا حول صحتها من عدمه.

وعليه، فقد طرحت هذه الرسالة مفهوم الصّورة وارتباطها بتشكّل المعرفة من خلال الإدراك الحسي الذي يعدّ بمثابة أحوال لا تكفّ عن التغيير. فالصّور الإدراكيّة تؤثر وتتأثر فيما بينها، كونها تعبيرًا عن التمثيل العقلي للخبرة الحسّية التي تؤدي إلى تشكل الوعي بالصّورة وتمتزج بالصّورة الذهنيّة لتعود وتشكّل علاقة مع الصّور الخارجية، وذلك لأنّها تتخذ موضوعًا لها من الإضافات، وعبر التطرّق إلى نظريات تشكّل المعرفة المرتبطة بالصّورة؛ كنظريّة المعرفة الأفلاطونيّة والنظرية الجشطالتية والبراغماتيّة.

يمكننا الاستنباط أنّ معيار الصورة قد لا ينتمي إلى أصلها، إنّما إلى ما قد يحيط بها من مؤثّرات قد تكون إعلاميّة أو سياسيّة، وربما قد تصل إلى مرحلة تسييرها من الأيديولوجيات التي تتسم بطابع الوجوديّة.

ندرك بذلك أنّها تؤدي دورًا مفصليًّا في كيفيّة تشكّل المعرفة، وقد باتت لصيقة بمحتوى الوعي الذي يؤثّر، بشكل مباشر، في بناء التفكير لدى الأفراد كما الجماعات. وهنا يبرز دور الصّورة الإعلاميّة كوجه من أوجه الصراع الثقافي الذي يستهدف العقل، وجبهته تشبه الجبهة العسكريّة، لأنه يستمدّ قوته من آليات ناعمة، قد لا ينتبه لها المتلقي. وقد تغيّر الصّورة من الواقع الحقيقي بالفعل، خصوصًا مع بروز الجيل الرابع والخامس في الحروب، والذي يعدّ بمثابة جيش بديل ويخوض الحرب بالوكالة، فالصّورة تحوّلت إلى سلطة رمزيّة.

> يبرز دور الصّورة الإعلاميّة كوجه من أوجه الصراع الثقافي الذي يستهدف العقل.

بدأت الصّورة تُعتمد كأداة حرب وميدانها الإعلام. أمّا الخطاب، فقد سلك طريقًا موجّهًا عبر اللّغة، وخاصة أثناء الحروب لاستثمارها وصنع أفضل تأثير ممكن في عقول الأفراد أو الجماعات التي تتلقفه. واعتمدت الصّورة كوسيلة يبدأ بها الخطاب، فيقبل المتلقّي ما يتوافق وأنساقه المضمرة ويعارض ما يخالف ثقافته المترسخة. فخطاب الصّورة أصبح خطابًا واقعيًّا، وقد جاءت الصورة لتتخطى عقبات الكلمة وتخاطب جميع الفئات البشريّة. لذلك؛ فإنّ الصّورة هنا ليست مجرد شكل بل هي مادة مكتنزة بالخطابات والرسائل والدلالات؛ فأصبحت هناك إمكانيّة رؤية ومعرفة ما يجري من طريق التدفق المتصل للصورة ومن طريق سطوة وكثافة حضورها، بحيث وضع الرأي العام داخل غيمة إعلاميّة.

إنّ سرعة الصور المتدفقة لا تدع مجالاً للتفكير أو التحليل بحيث يستغل

منحى تدفقها، بحسب الأيديولوجيات المسيّرة لها، فالايديولوجيا ليست فقط لصيقة بوسائل الاتصال بل هي كامنة في البعد الأدواتي حيث تطغى المضامين وتغدو التقنيات حاملة للرسالة المبثوثة التي تعمد إلى توجيه فكر معظم العالم. وبذلك؛ أضحت الصّورة تمارس فنّ صنع واقع آخر غير الواقع الفعلي، وذلك يشلّ ملكة الرؤية للعين في الكشف عن الحقيقة ويندرج في سياق عملية تعليب الوعي عبر حزمة إملاءات غير مباشرة تفرضها الأجواء النفسيّة للصّورة. فهي تصنع مناخًا قهريًّا لصنع القرارات وتشكيل العواطف وصوغ الأفكار. ويقع الأفراد تحت وطأة الانبهار الفائض بالصّورة بحيث نسمح بتسلله إلى المخبوء في اللاوعي لجهة إحداث تعديل في منظومتنا الفكريّة ليخرج وعينا على صورة الهيئة الافتراضيّة.

تسعى أيديولوجيا الاتصال إلى التوجيه المنهج للأحداث، ما يؤدي إلى طغيان وسيلة الاتصال على الخبر أو الصّورة. وقد تصل بتغافل الخبر أو الصّورة إلى مستوى الوأد التدريجي. كما، وقد تصل الدعاية، خلال الحروب، إلى جعل الرأي العام يسقط في فخ التضليل، كما حصل مع الإعلام الإسرائيلي قبل صدور قرار خوض الحرب على لبنان لزجّ الرأي العام المؤيد في خانة قبول الحرب في عملية تجنيد إعلامي لا سابق لها. ولعبت دولة العدو الإسرائيلي الغاصبة في دعايتها، قبل قرارها بالاعتداء على لبنان، سيناريو ما فوق واقعي لتحصد إجماعًا مؤيدًا لمعركتها ودفع جنودها والرأي العام الإسرائيلي إما إلى القتال وإمّا إلى مساندته وتأييده. فحشدت الجماهير في منهج سياسي موجّه عبر التزييف وتجاوز الواقعيّة بإمكانية القضاء الكلّي، أو بتعبير آخر «سحق» حزب مقاوم يملك شعبيّة واسعة في لبنان.

أما حزب الله، فقد رأى الكثيرون من التقارير الصادرة عن مصادر مناوئة له؛ كتقرير لجنة فينوغراد وتقرير البحرية الأمريكيّة، أنّه نجح في آليته الإعلاميّة وفي نقل الصورة إلى العالم أجمع. فساهم الإعلام الحربي في إبراز نجاح حزب الله، حزب المقاومة، وأكمل دوره في تشكيل منظومة إعلاميّة

متكاملة، ظهّرت للرأي العام العالمي قضيته وأبرزت العدوان الوحشي للكيان المؤقت، عبر المجازر التي ارتكبها جيشه في حق مواطنين عزّل - مجزرة قانا 30 تموز 2006 ومجزرة مروحين15 تموز 2006؛ وغيرهما وعلى البنى التحتية اللبنانيّة أثناء حروبه على لبنان.

الثابت أنّ الإعلام والصورة أصبحا سلاحًا فتّاكًا، وقد يكون حاسمًا، بيد الشعوب المقاومة أو المعتدية على حدّ سواء. ويمكننا عبر التفات بسيط رؤية أنّ وسائل الإعلام التي تطفو في زمن الحرب وتخبو في زمن السلم تقيم الدليل على أهمية الصّورة في المعركة. ولعلّ أجمل تعبير أختتم به في موضوع قيمة الصورة هو الحديث الذي يقول: «**إذا اردت ان تعرف نعمة الله عليك فأغمض عينيك**».

إذا اردت ان تعرف نعمة الله عليك فأغمض عينيك.

لائحة المصادر والمراجع

الكتب

1. القرآن الكريم.
2. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م
3. أمين حطيط، انهيار الردع الإسرائيلي، المستقبل العربي: نشرة شؤون أمنيّة واستراتيجية، مج 34، العدد 398، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، نيسان 2012م
4. بيان لحزب الله لمناسبة الإنتصار على العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في مواجهة سيف القدس، 2021/5/21م
5. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ط1، ج4، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1988م
6. ديفيد جارنم، «مستلزمات الردع»، مركز الإمارات للدراسات الستراتيجية، 1995م
7. ديفيد فيشر، الأخلاقيات والحرب، (ترجمة: أد. عماد عواد)، الكويت، عالم المعرفة، 2014.
8. رولان بارت، الغرفة المضيئة (تأملات في الفوتوغرافيا)، ترجمة هالة نمّر، مراجعة أنور مغيث، المركز القومي للترجمة - مصر - القاهرة، ط 1، 2010.
9. رون طيرا، مركز جافي للدراسات، جامعة تل أبيب، دراسات باحث، صيف 2006م
10. رئيس معهد هرتسليا: النمل الأبيض يأكل إسرائيل، وكالة وطن الفلسطينية، 2019/7/3م

11. زهير أندراوس، النمل الأبيض يأكل إسرائيل، صحيفة رأي اليوم، 2019/7/2م.

12. زئيف شيف، هآرتس، 2006/8/11م

13. عاموس هارئيل، هآرتس، 2019/12/20م

14. عبد الوهاب المسيري، انهيار إسرائيل من الداخل، لا طبعة، القاهرة: دار المعارف، 2001م

15. علي شهاب، قراءة أوروبية استخبارية في نتائج حرب تموز، صحيفة الأخبار، 2007/3/3م

16. غادي آيزنكوت، تسوجيهات لاستراتيجية الأمن القومي الإسرائيلي، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 2019/10/2

17. فرح موسى، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعد الآخرة في القرآن الكريم، ط1 ، بيروت: مركز فرح موسى للبحوث والدراسات القرآنيّة، 2016م

18. فيليب تايلور، قصف العقول. (ترجمة. سامي خشبة)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000.

19. كريستوفر نوريس، نظريّة لانقديّة،(ترجمة. عابد اسماعيل)، بيروت، دار الكنوز الأدبيّة، 1999.

20. محمد المصري، نظريّة الأمن الإسرائيلي، كتاب الرؤيا، ج2، 2009م

21. محمد بدير، الإسرائيليون يصدقون نصر الله.. ولا يثقون بقادتهم، صحيفة الأخبار، 2006/9/4م

22. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ط 1 ، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994م

23. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ط1 ، بغداد: دار الكتاب

العربي، 2009م

24. مقابلة مع السّيد نصر الله في الذكرى العشرين لعيد المقاومة والتحرير، إذاعة النور، 2020/5/26م

25. مقابلة مع عبد الوهاب المسيري، مجلة الموقف الأدبي، 2010/7/18م

26. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج12، لا ط، قم: مدرسة الامام علي بن أبي طالب (ع)، 1379 هـ

27. هربرت شيللر، المتلاعبون بالعقول، (ترجمة: عبد السلام رضوان)، الكويت، عالم المعرفة،1999.

28. وسمية الحوطي، الحشرات في القرآن والأحاديث النبوية والتراث الشعبي الكويتي، 1998م

خطابات السيد «حسن نصرالله :

1. في الذكرى السنوية لعيد المقاومة والتحرير، بنت جبيل، 2000/5/26م

2. في احتفال لمناسبة يوم القدس العالمي، 2008/9/26م

3. في احتفال تكريمي لشهداء القنيطرة، مجمّع سيد الشهداء، 2015/1/30م

4. في الذكرى العاشرة لانتصار تموز 2006، بنت جبيل، 2016/8/13م

5. في مهرجان يوم القدس العالمي،مارون الراس، 2018/6/8م

6. في تأبين الشهيدين قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس ورفاقهما، 2020/1/5م

7. في مناسبة لذكرى الـ14 لانتصار تموز، 2020/8/14م

مواقع الكترونية

1. إحصائيات تشير إلى ارتفاع سن الزواج وزيادة نسبة العنوسة في إسرائيل، https://www.i24news.tv/ar/أخبار/ثقافة/152341_170807

2. ارتفاع معدلات الطلاق في إسرائيل، صحيفة الدستور، 2021/10/27، https://www.dostor.org/3143895

3. الكتالوج العالمي للعناكب، ط 13، http://research.amnh.org/iz/spiders/catalog

4. الكنيست يوافق على تجريم علاج «التحول الجنسي» للمثليين، https://www.alhurra.com/israel/2020/07/22

5. المثلية الجنسية: عدد غير مسبوق من النواب المثليين في الكنيست الإسرائيلي، 2020/6/18،

https://www.bbc.com/arabic/middleeast_53096548

6. الموقع الإلكتروني لمؤسسة الدراسات الفلسطينية www.palestine_studies.org/ar/daily/mukhtarat_vie

7. أسعد، عبد الرحمن، إسرائيل: تعاظم الصّراع العلماني الدّيني، 2011/6/15، https://dr_asad.com/2011/06/15

8. خاروف، حسن حلمي، الموسوعة العربيّة http://arab_ency.com.sy/detail/785

9. عباس الزين، «إسرائيل» مرتدعة.. هكذا بات الخطر وجوديًا، الميادين نت، 6 أيار 2020م

10. فايز رشيد، الصّراع اليهودي اليهودي في الكيان واقتتالهم قائم، القدس العربي، 2020/2/12 https://www.alquds.co.uk

11. مجد أبو ريا، العنصريّة الطبقية داخل المجتمع الإسرائيلي.. هل ستُنهي إسرائيل، 2019/3/13، https://www.noonpost.com/content/26932

12. موقع عرب 48، 2012/2/12

مصادر اجنبيّة:

1. Jessie Szalay ,»Types of Spiders & Spider Facts» 52014/11/, www.livescience.com, Retrieved 232021/10/

2. https://www.bbc.com/arabic/middleeast-44881325 -92018/7/